صوت الأمة

بنارس، الهند

شوال وذو القعدة ١٤٤٤هـ

مايو ويونيو ٢٠٢٣م

تربية الأبناء والبنات مسؤولية عظيمة للآباء والأمهات	٤
الحج وفضائله	١٥
أثر التعايش السلمي على الفرد والمجتمع	٧٢
مقالات الغلو في النبي ﷺ والرد عليها	٨٤
وفاة الشيخ محمد عبد القيوم المدني ...	٩٩

لا تهملوا في تربية أولادكم أيها الآباء

قال ابن القيم رحمه الله:

«وكم ممن أشْقَى ولدَه وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه، وإعانته له على شهواته. ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوَّت عليه حظَّه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرتَ الفساد في الأولاد رأيتَ عامَّتَه من قِبَلِ الآباء»

(تحفة المودود بأحكام المولود: ص٣٥١)

دار التأليف والترجمة، بنارس، الهند

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد: ٥٤	العدد: ٥-٦	شوال وذو القعدة ١٤٤٤ هـ	مايو ويونيو ٢٠٢٣م

هيئة المجلة

المشرف العام
عبدالله سعود بن عبدالوحيد

رئيس التحرير
خورشيد عالم جميل أحمد المدني

مساعد التحرير
د. عبدالحليم بسم الله المدني

الهيئة الاستشارية
د. محمد إبراهيم محمد هارون المدني
د. محمد إسحاق محمد إبراهيم
الشيخ عبدالقدوس محمد نذير
صلاح الدين مقبول أحمد المدني
د. عبدالصبور أبو بكر المدني

عنوان المراسلة

صوت الأمة
بي ١ / ١٨ جي، ريوري تالاب، بنارس، الهند

The Editor, Sautul Ummah
B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi – 221010 (India)

ترسل شيكات الاشتراك بهذا الاسم:

دار التأليف والترجمة

Name: DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA
Bank: ALLAHABAD BANK
Kamachha, VARANASI
A/c No.: 21044906358
IFSC Code: ALLA0210547

الاشتراك السنوي

في الهند (٢٥٠) روبية، في الخارج (٧٥) دولار
بالبريد الجوي، ثمن النسخة (٢٥) روبية.

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
الافتتاحية: ١– تربية الأبناء والبنات مسؤولية عظيمة للآباء والأمهات خورشيد عالم جميل أحمد المدني	٤
واجبات ومسؤوليات: ٢– واجب المسلمين نحو بيت الله الحرام د. صالح بن عبد الله بن حميد	١٢
الركن الخامس: ٣– الحج وفضائله د. عبد الحليم بسم الله	١٥
مأمورات ومحظورات: ٤ – محظورات الإحرام د. سعيد بن على القحطاني	٢٣
أخطاء وتنبيهات: ٥– تنبيهات على أخطاء بعض الحجيج والمعتمرين معالي الشيخ صالح بن فوازان الفوزان	٣٦
وصايا ونصائح: ٦– وصية الله لحجاج بيته الحرام الشيخ صالح آل طالب	٤٣
فوائد وحقوق: ٧ – خطبة النبي ﷺ يوم عرفة فضيلة الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر	٤٩
عبادات ودروس: ٨– دروس من الحج عبد الرحمن بن صالح المحمود	٥٤
الفقه الإسلامي: ٩– حكم زخرفة المساجد وتزيينها مجيب الرحمن محمد حنيف السنابلي المدني	٥٩

الولاء والبراء: ١٠– أفغير دين الله يبغون؟ عمر بن محمد شفيق	٦٦
الأخلاق والمعاملات: ١١– أثر التعايش السلمي على الفرد والمجتمع عبد المنان محمد شفيق المكي	٧٢
مقالات وردود: ١٢– مقالات الغلو في النبي ﷺ والرد عليها عبيد الله الباقي أسلم	٨٤
جهود ودراسات: ١٣– دراسة كتاب"مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه" أمير الإسلام بن بحرالحق الجاندفوري	٩٤
أعلام ووفيات: ١٤– وفاة الشيخ محمد عبد القيوم المدني خسارة فادحة للأمة الإسلامية خورشيد عالم جميل أحمد المدني	٩٩
أخبار الجامعة: ١٥ – من أخبار الجامعة السلفية	١٠٨

الافتتاحية

تربية الأبناء والبنات
مسؤولية عظيمة للآباء والأمهات

خورشيد عالم جميل أحمد المدني

إنّ الأبناء والبنات زينة الحياة الدنيا وبهجتها، وأفلاذ الأكباد والنفوس، وأنوار العيون، وسعادة القلوب، وصلاحهم نعمةٌ عظمى تقرّ بها عيون الوالدين، ويشعر بها القوم والأحمّاء الفرحة والسعادة، ويعتبرون تنشئتهم الطيّبة من القضايا المهمّة والأعمال الجليلة في هذا الزمان نظرًا لتفشي الأخلاق السيئة في الأفراد والجماعات، وانتشار دواعي الفساد في المجتمع، وضياع المبادئ والقيم فيه، وانعدام التربية الدينية، وغياب الوعي الفكري والسلوكي لدى أبناء المسلمين وبناتهم ممّا أدّى إلى السُمعة السيئة للإسلام وأهله.

وكما لا يخفى عليكم أنّ داء الانحراف الفكري والسلوكي منتشر بين بعض الفتيات المسلمات حيث يقمن بالتزاوج من الكفار، ويتجهن نحو الردة وانخلاع الدين لقلة العلم، وضعف الوازع الديني، وإنما هذا أمر مؤسف وعار شديد للوالدين، وناتج عن عدم اهتمام الآباء بمراقبتهن، وعدم الإشراف عليهن.

وكذلك الشباب المسلمون أصبحواعرضةً للضلال والانحراف وسوء الأخلاق، وأصبح لديهم تضييع الأوقات في الشوارع وتقاطعاتها أمرًا شائعًا، والوقوف على الطرق العامة، والسبّ والانحطاط الأخلاقي فيهم جليًّا، فالواجب علينا أن نحرص على حماية الشباب والشابات من الانحراف الفكري والسلوكي، والمبادرة إلى إصلاحهم، والسعي الأكيد إلى الدواء الناجع والبلسم الشافي من تلك الانحرافات

التي تهدّد مستقبل الشباب والشابات المسلمات، وصونهنّ من عقد التزاوج من الكفّار وغيره من البلايا.

وتقع على عواتق الآباء والمعلّمين مسؤولية عظيمة في هذا الصدد؛وهي اهتمامهم بالتوجيه الإسلامي، وحمايتهم من الضلال والانحراف، والتخطيط لمستقبلِ مشرقٍ لهم، والاجتهاد في إعدادهم متكاملًا من جميع النواحي العقديّة والفكريّة والسلوكيّة، وتربية عقولهم وأرواحهم على محبّة الله، والاستنان بسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم في أفعاله وحركاته، وتزويدهم بالعلوم النافعة والمعارف الصادقة، وتحذيرهم عن كل ما يحطّم الأخلاق والمبادئ، ويبذر الفساد والانحراف في قلوبهم؛ فلهم حق عليكم أيها الكرام! وأنتم مأجورون عليه، وانشغالكم عنهم له عواقب محزنة.

وإنّ الأبناء والبنات من أعظم نعم الله تعالى التي يجب على الآباء والأمهات أن يشكروا له سبحانه عليها، ويقدّروها حقّ قدرها، ويهتمّوا بحفظهم وصيانتهم من الانحراف والفساد، ويعتنوا بتعليمهم الآداب الإسلامية غاية الاعتناء، واجتناب المنكرات، وخوارم الأخلاق والعادات، ويتذكّروا أنّ هؤلاء أمانة عندنا وسنسأل عنهم أمام الله عز وجل، فيستشعروا بالمسؤوليّة نحوهم، ولا يتركوهم بدون توجيهٍ سليمِ.

يقول الإمام ابن القيم- رحمه الله-: " من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنّما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا". (تحفة المودود بأحكام المولود ٢٢٩).

فالواجب على الوالدين التفكير في تحمل مسؤولياتهم المنوطة بالأولاد، وصيانتهم من الانحرافات والسيئات، والاعتناء والرعاية في إصلاحهم.

مما لا شكّ فيه أنّ الأولاد صفقةٌ رابحةٌ، وعملٌ تجاريٌ مربح للوالدين في الدنيا والآخرة إذا وفّيا بمسؤولياتهما نحوهم من حسن تربيةٍ وأخلاقٍ، فالأولاد يقدّرونهم،

ويقفون لطاعة أوامرهم، ويلبّون كل احتياجاتهم، ويعتبرون القيام بذلك من باب السعادة لأنفسهم، ويكون الوالدان سعيدين بتقوى الأبناء والبنات وحسن أخلاقهم وحياتهم الطاهرة، لذلك فإنّ المسؤوليات المتعلقة بالوالدين لها غاية الأهمية، فإنهم إذا زرعوا أشجارًا اليوم، فإنّهم سيأكلون ثمارها غدًا.

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله:(باب قوا أنفسكم وأهليكم نارًا)وأورد فيه حديث ابن عمر «كُلُّكُمْ رَاع وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالإِمَامُ رَاع وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاع عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالعَبْدُ رَاع عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاع وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ». (صحيح البخاري٧/ ٢٦، ورقم الحديث ٥١٨٨). ومطابقته ظاهرة لأن أهل المرء ونفسه من جملة رعيته وهو مسؤول عنهم لأنه أمر أن يحرص على وقايتهم من النار وامتثال أوامر الله واجتناب مناهيه. (فتح الباري لابن حجر ٩/ ٢٥٤).

قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره. ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته. (شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٢١٣).

فالراعي يراقب مواشيه وحيواناته كي لا تأكلها الذئاب، ولا تهاجم عليها الكلاب، ويضعها أمام عينيه، ولا يتركها بعيدًا عن أبصاره وأنظاره، ويجاهد ويتصرّف بشدّة لإبقاء ها تحت رعايته، ويوبّخها ويضربها حسب الأحوال والحاجات، ويحبّها إلى حدٍّ أقصى، كما أنّه يضطرب ويقلق بشأن علفها وكلأها، ويحصنها من البرد والحر والمطر، ويعالجها، ويهتم بجميع احتياجاتها.

من خلال النظر والتأمّل في هذا الحديث يظهر أنّه عندما يكون الشخص مسؤولًا عن الأسرة، فعليه أن يعتني بأسرته وعائلته تمامًا كما يعتني الراعي بحيواناته ويهتمّ بمواشيه، وإذا أهمل في ذلك، وتكاسل في أداء مسؤولياته تجاه أهل بيته وأسرته، فيكون

مسؤولًا أمام الله عزّ وجلّ.

علمًا بأنّ المرأة ليست مسؤولةً عن نفقات الأولاد، لكنّها تشارك أيضًا في مسؤولية التعليم والتربية للأبناء والبنات.

وحاجات الأولاد على نوعين:

أحدهما: الحاجات الدنيوية: هي التي يقدّمها كل المسلمين ويلبّيها جميع الكفار لأبنائهم وبناتهم من غذاءٍ، وكساءٍ، ودواءٍ، وعلاج وغير ذلك، وكذلك الحيوانات تهتمّ بالعلف والعشب لأولادها الصغار وتتكفل برضاعتهم، وتحميهم من كل المخاطر والتهديدات.

والثاني: الحاجات الدينية: هي التي مرتبطة بالآخرة، بأن يكون لدى الأولاد معرفة الرب سبحانه وتعالى، وحبّه والإنابة إليه، وحبّ الرسول صلى الله عليه وسلم، والتمسّك بسنّته، والحرص على فعل الحسنات وترك السيئات، فهذا حقٌ خاصٌ ومفروضٌ على المسلمين، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وممّا يؤسف له أنّ الناس في الوقت الحاضر يهتمّون بتلبية الاحتياجات المادية وقضاءها لأولادهم بأكملها، ويحاولون إطعامهم قدر الإمكان بأفضل شكلٍ ممكنٍ، ويسعون في كسوة ملابسهم وفقًا لرغباتهم، ويعيشون أنفسهم مفاليس وفقراء، ويأخذون الأولاد بالتعليم في أفضل الجامعات والكليات، ويبيعون ممتلكاهم، ويقدمون الكثير من الأشياء في زواج البنت بحيث يبدو أنهم قد قضوا لها احتياجات الحياة بأكملها، ولن تحتاج إلى أي شيء طيلة حياتها؛ ولكنّهم لا يفكّرون في تنشئتها الإسلامية، ولا يهتمّون بإنقاذها ونجاتها من نار الجحيم، ولا يلتفتون إليها، ولهذا تحدث أحيانًا تزاوج بعض الفتيات المسلمات بالكفّار في مجتمعنا، وأكبر المسؤولية في هذا الصدد تقع على عواتق والدي الفتيات، لأنّهم إذا قاموا بمسؤولياتهم فلا ينبغي للفتيات

المسلمات أن يتزوّجن من الكفّار، ويجعلن النّار مثوىً لهن.

نظرًا لأهمية هذه الحوادث أذكر في الأسطر التالية مسؤوليات الوالدين تجاه الأولاد حتى يكونوا على درايةٍ بمسؤولياتهم، وتعاهدهم من الفساد والانحراف عن السلوك السوي:

١- اتصاف الوالدين بالصلاح والتقوى والقدوة الحسنة للأولاد.

في الواقع أنّ صلاح الوالدين له دورٌ كبيرٌ في تثقيف الأولاد وتربيتهم الحسنة، لذلك أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم باختيار الزوجة الصالحة عند الزواج، وأمر أولياء الفتيات بتزويجهنّ إذا خطب الخاطب المتديّن، وصاحب الخلق الحسن، وينبغي للوالدين أن يكونا قدوةً حسنةً لأولادهما في جميع شؤونهما من برٍّ، ووفاءٍ، وصدقٍ، وعدلٍ، وأخلاق؛ لأنّ الحسن عند الأولاد ما صنع الوالدان أمامهم، والقبح ما تركاه.

يَنْشا الصغيرُ على ما كانَ والدُهُ ..... إنّ العُرُوقَ عليها يَنْبُتُ الشجرُ

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ رحمه الله:"(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا): فيه دليلٌ على أنّ الرجل الصالح يُحفَظ في ذرّيته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنّة، لتقرّ عينه بهم. (تفسير ابن كثير-العلمية- ٥/ ١٦٨).

فعلى الوالدين أن يكونوا صالحين، والمحافظين على الصلوات وغيرها من العبادات، والمبتعدين عن الفواحش والمنكرات، كي يتعلّم منهم الأولاد، وينشأوا عليه، ويتمثّلوا بهم في العبادات، والعادات، ومكارم الأخلاق، ويتركوا الفواحش والصفات المذمومة الواردة في الشرع والمنتشرة في المجتمع، وإنّ الانحراف الذي وقع في الأمم السَّابقة هو بسبب فقدان القدوة عند الوالدين.

٢- سؤال الله للأبناء والبنات بالصلاح والتقوى.

ممّا لاشكّ فيه أنّ التربية والأدب من الآباء، والصلاح والتقوى من الله عزّ وجلّ، فادعوا الله بقلوبٍ صادقةٍ وتضرّعوا إليه أيها الآباء الكرام ، واسألوه هداية الأبناء

والبنات؛ وهو دأب الأنبياء والصالحين بأنّهم طلبوا من الله الذرية الصالحة، وتوفيق تنشئتهم على الآداب الإسلامية، والمحافظة على إقامة الصلوات والزكاة، وطلب الإمامة لهم في الدين، وجعلهم قرة أعينٍ للسعادة والفلاح، ووصّوا ذريتهم بالتجنّب من الانحرافات والسيئات، وغرسوا العقيدة الصحيحة في نفوسهم، وقاموا بتوجيههم إلى توحيد الله والعبادة له طوال الحياة، والتخلّق بشيم النبلاء من حسن خلقٍ واحترامٍ.

٣- **إعطاء الآباء بعض الفرص من أوقاتهم بالجلوس والتحدث مع الأولاد فى المنزل.**

يجب على الآباء تخصيص بعض أوقاتهم في المنزل مع الأولاد للجلوس والتحدّث معهم، وتشجيعهم على طلب العلم والدراسة في المدارس والجامعات، والنصح لهم بكل ما فيه خير، ومراقبتهم من الجوانب العقديّة، والفكريّة، والسلوكيّة وتحسينها لهم، وتفقّد أحوالهم، كي تهدأ قلوبهم، وتستقيم أمورهم وطبائعهم، وكذلك تحتاج الفتيات على وجه الخصوص إلى إخبارهنّ بكيفية الحفاظ على العفّة والكرامة والشرف، والابتعاد عن الرجال الأجانب، وحماية أنفسهنّ من المجلات الماجنة والجرائد الفاحشة، والنصح لهنّ بقضاء لياليهنّ في العبادة وقراءة الكتب الإسلامية، وإبلاغ الفتيات المراهقات بحقيقة الكيفية التي يقدّم بها الكفار والشهوانيون في رداء الحبّ الخادع والمودّة الكاذبة للفتيات المسلمات، ويجلبونهن إلى مكانٍ تصبح الحياة فيه عبئًا وثقلًا عليهنّ، ويكون مستقبلهن فيه مظلمًا، ولذلك فإنّ الاهتمام الخاص بالفتيات مطلوبٌ شرعيٌّ وواجبٌ حضاريٌّ في وقتنا الحاضر.

٤- **توفير التعليم الدينى الأساسى للبنين والبنات.**

هذه من أهمّ المسؤوليات في رقبة الوالدين نحو أبناءهم أن يهتمّوا بتعليمهم القواعد الأساسية الدينيّة، والتوحيد، والسيرة النبوية، واستمرار هذا التعليم الديني مع التعليم العصري على الأقل مدّة ثماني سنوات، وأفضل طريقةٍ في ذلك هو قيام الكتاتيب الدينيّة في القرى، والمدن، و المساجد، وإقامة الحلقات فيها لتحفيظ الأولاد

سورًا من القرآن والأدعية والأذكار، وإخبارهم عن الإيمان والتوحيد، وشرح الفرق بين الإسلام والكفر، وتوضيح الحاجة للإنسانية بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبيان علاقتنا مع الكفّار كما يجب التوضيح والنصح لهم أنّ المسلم أو المسلمة لا يجوز لهما الزواج من غير المسلمين مهما بلغوا إلى قمّة العلم والتقدّم.

فتربية الأبناء والبنات على هذا النمط حقٌ واجبٌ على الوالدين سواء من خلال مدرسة الحي، أو المسجد، أو من خلال مدرسةٍ منزليةٍ، أو دروسٍ خصوصيّةٍ.

٥- إقامة فصول دراسيّة مستقلّة للبنين والبنات.

من الواجبات أن يكون هناك فصول دراسيّة منفصلة للأبناء والبنات، لأنّ التعليم المختلط هو السبب الرئيسي المؤدّي إلى سوء سلوك وانحراف الأولاد، وتدهور البنين والبنات؛ فبذلك يجب على المسلمين إنشاء عددٍ متزايدٍ من المؤسسات التعليمية المستقلّة للفتيات قدر الإمكان، وعلى الأثرياء والتجّار من المسلمين أن ينفقوا الفوائض من أموالهم في مجال التعليم والتربية ممّا سينفعهم في الدنيا والآخرة، وفي أيّ حالٍ ينبغي حماية الفتيات من التعاليم المختلطة في المدارس والجامعات قدر الإمكان.

٦- مراقبة الفتيات في المدارس والجامعات.

يجب على الآباء اصطحاب بناتهم للتوصيل إلى المدرسة بأنفسهم، والرجوع بهنّ إلى البيت بعد الدوام الدراسي، وعدم تركهنّ للذهاب إلى المدرسة بمفردهن، ولا في السيارات ولا الحافلات، لأنّ كثيرًا من الأحداث والوقائع تحدث إذا خرجن البنات منفردات من البيت للدراسة ولميصلن إلى المدرسة؛ فتنبّهوا إخوتي الكرام! فإنّ هذه المسؤولية قد يصعب على الآباء القيام بها؛ ولكن لا يستبعد لهم هذا القيام إذا تنبهّوا لذلك.

٧- لقاء الآباء مع عميد المدرسة أسبوعيًا.

يجب على الآباء أن يلتقوا بمدير المدرسة أو عميدها يومًا واحدًا على الأقلّ في

الأسبوع، ويستفسروا عن دراسة بناتهم وحضورهنّ في المدرسة وعملياتهم الدراسيّة، ويراقبوا أبناءهم وبناتهم طوال الوقت، وهذا لا يمكن إلا من خلال زيارة المدرسة بأنفسهم، أو عن طريق الاتصال بالمسؤولين للاستفسار عن تواجدهنّ خلال ساعات الدوام المدرسي.

وإنّ هذا العمل يحتاج إلى جهدٍ كبيرٍ، ولكن يجب على الآباء تحمّل هذا الكدح، وكلّ هذه المصاعب من أجل راحة أبنائهم وبناتهم، وإعانتهم على تحسين حياتهم السعيدة.

٨- الاهتمام بتعليم البنين والبنات فى البيت.

إنّ ترك الأولاد أحرارًا وعدم مراقبتهم أمرٌ مخالفٌ لتعاليم الإسلام، ومتعارضٌ مع مصالح الأولاد، فالواجب على الآباء تعليم البنين والبنات في المنزل، وتذكيرهم بأداء الواجبات ومراجعة الدروس اليوميّة؛ لأنّ الاعتماد والاقتصار على المعلّمين في تعليم الأولاد وتربيتهم ظلمٌ وقسوةٌ على الأولاد والمعلّمين؛ فالإشراف على الأولاد في المنازل، وعدم إعطاءهم الهواتف والجوالات دون داع مهمٌ جدًا، وكذلك مراقبة جوالات الأبناء والبنات وفحصها والتحقّق منها من وقتٍ لآخر حال إعطاءهم بها.

نسأل الله أن يصلحنا وأولادنا، ويوفّقنا وإيّاهم للهداية والصلاح والتقوى، ويحفظهم من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

***

واجبات ومسؤوليات

واجب المسلمين نحو بيت الله الحرام

د. صالح بن عبد الله بن حميد

إن واجب كل مسلم أن يسهم في تهيئة الجو الآمن المطمئن؛ ليؤدي حجاج هذا البيت مناسكهم، ويقفوا بين يدي مولاهم، قائمين وعاكفين، وركعاً وسجوداً بخشوعٍ وأمان، منقطعين عن الشواغل، متبتلين إلى الله بصدق التوجه.

بل لقد نهى الله -سبحانه وتعالى- عن مجرد الجدال تعظيماً لحرمة الزمان والمكان، وانصرافاً للتزود بالتقوى حيث يكمل جلال الموقف، وجو السكينة الذي يجب أن يتهيأ لوفد الله، ولضيوف الرحمن، فمن خالف ذلك وأراد بهذا البيت سوءاً فقد توعده الله بقوله: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج:٢٥].

فحقٌ على كل مؤمنٍ قصد هذه البقاع الطاهرة، يرجو الرحمة، ويؤمل في مغفرة الله له ويتطلع إلى حجٍ مبرور؛ حقٌ عليه أن يتجنب كل ما يشوش على الآمنين أمنهم، وعلى المتعبدين عباداتهم؛ من صخبٍ ومجادلات ورفع أصواتٍ بما لا يليق، فلا تحلّوا شعائر الله ولا الشهر الحرام إن كنتم مؤمنين.

ضرورة تقوية الروابط بين المسلمين

إن حق بيت الله المطهر، وحرمه الآمن، وجمعه العظيم، أن تتأكد به الصلات، وتتوثق عنده العلاقات على تقوى من الله ورضوان، إذ لم يشهد التاريخ أمتن ولا أطهر ولا أعمق من أخوة الدين ورابطة الإيمان، اسألوا الأوس والخزرج! اسألوا المهاجرين والأنصار! {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} [آل عمران:١٠٣]

كيف انطوت تلك القبائل المتناحرة بالأمس تحت راية المثنى، وسعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وعقبة بن نافع، وموسى بن نصير، وقتيبة بن مسلم، ومحمد بن القاسم، كيف جاهدت تلك الأمة تحت راية صلاح الدين؟

خاطب النبي صلى الله عليه وسلم طائفة من أصحابه بقوله: {ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ وأعداءً فألف بين قلوبكم بي؟} ولقد أجابوا وقالوا وصدقوا: لله ورسوله المن والفضل، وقال تاريخ الإسلام من بعدهم: لله ولرسوله المن والفضل.

أيها المؤمنون حجاج بيت الله! ألم تكن هذه الأمة قبل الإسلام على ضلال؟ وأي ضلال أعظم من عبادة الأوثان والطواغيت، وعبادة الشهوات؟

كان يمزقها القتل والقتال، ويسودها الفقر والذل والتشتت، بأسهم بينهم شديد، وما هي إلا أن هبت ريح الإيمان؛ فأصبح الذين كانوا بالأمس ضلالاً لا يعرفون ديناً، ولا يحملون علماً، أصبحوا أعلام هدى، وأئمةً راشدين، حملوا مشاعل الهداية إلى مشارق الأرض ومغاربها، يدعون إلى الهدى، ويصبرون على الأذى، ويبصرون أهل العمى، فما أعظم أثرهم على الناس.

أيها المؤمنون: ما أعظم أثرهم في العقائد والأخلاق، وفي الآداب والاجتماع؛ بهم قامت دولة التوحيد والإيمان، وعمرت سوق الجنة.

ضعف الروابط الجاهلية في تجميع شمل الأمة

أمة الإسلام: هذه حقائق وعلاماتٍ شامخة لا يشك فيها مؤرخ، ولا ينكرها منصف.

يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم!

لماذا يتعلق أقوامٌ بحبالٍ أوهى من خيوط العنكبوت؟! يستبدلون بحبل الله وحبل رسوله عصبياتٍ وقوميات وجنسيات لم تزدهم إلا ضلالاً، ولم يجدوا من ورائها إلا تفرقاً؟!

ضلالاتٌ في الاعتقاد، وفوضى في الفكر، وتفسخٌ في الأخلاق، وتفككٌ في الروابط الاجتماعية، أشبه ما يكونون

حالاً بالجاهلية الأولى.

أيها الإخوة في الله: لقد ثبت ضعف أي رابطة عن القدرة على جمع الصفوف، أو قهر الشهوات العارمة، أو محو الأنانيات المستحكمة، إذا تجردت عن العقيدة الصحيحة، والإيمان الصادق، والتربية الصالحة، ومن أجل تبيين هذا الأمر ليوازن مريد الإصلاح بين ربح الأمة وخسارتها، بين دخلها وخرجها، يوازن بين الربح لما كان الاستمساك بالعروة الوثقى، والاعتصام بحبل الله، والتألق بركاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم وركبه، يقارن بين ذلك وبين خسارتها حين انفصلت عن هذا الركب الميمون، وانطوت كل فئة على نفسها، وعاشت في عزلة عن شقيقاتها، وتمسكت بعصبيات، ودعت إلى نعرات لم تزدها إلا تباراً، فتمكن أعداؤها، وأكل الذئاب كل قاصية، فاستبيح الحمى، ونهبت الديار، وسلبت الخيرات، وتداعت على الأمة السباع المسعورة، وفرقتهم السياسات الممقوتة، ثم أقبل بعضهم على بعضٍ يتلاومون.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد!

إن المجرم في حق أمة الإسلام من يسعى لإضعاف صلتها بالدين، أو يسعى في أن يزعزع من نفوسها اليقين، ومن يحول بينها وبين نبيها محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

وإنها الرزية كل الرزية في أمة شرّفها الله بالإسلام، وأعزها بهذا الدين، فتخلع عنها ثوبه، وتأبى السير تحت لوائه، وترضى أن تقاتل ذليلة تحت ألوية الجاهلية، والنعرات العنصرية، والشعارات الحزبية.

***

الركن الخامس

الحج وفضائله

د. عبد الحليم بسم الله
أستاذ الحديث بالجامعة السلفية بنارس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإنّ الحج إلى بيت الله الحرام من أفضل العبادات وأعظم الطاعات مما يتقرب به العبد المسلم إلى ربه عزوجل، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو فريضة من الفرائض، وواجب من الواجبات على كل مسلم عاقل بالغ قادر، وهو مدرسة يتربى فيها المسلم على الطاعة والتجرد لله والخروج من شهوات النفس ومتاع الدنيا وزخارفها، كما تتعلم فيها الأمة الترابط والتناصر والاتحاد والاجتماع وغير ذلك من الدروس.

تعريف الحج لغةً واصطلاحًا:

والحج في اللغة: القصد(١).

وقال ابنُ فارس: "اختُصَّ بهذا الاسمِ: القصدُ إلى البيت الحرام للنُّسُك"(٢).

وفي الاصطلاح: هو قَصْدُ المشاعِرِ المقدَّسة؛ لأداء المناسكِ في مكان ووقت مخصوص تعبُّدًا لله عزَّ وجلَّ(٣).

وعرَّف الجرجاني بقوله:قصدٌ لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة، في وقت مخصوص، بشرائط مخصوصة(٤).

وبعضهم عرَّفه بقوله: "عبارةٌ عن قَصْد مخصوص إلى مكانٍ مخصوصٍ في

(١) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٢٢٦)
(٢)معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٩)
(٣) مجموع فتاوى ورسائل العُثيمين(٢٤/ ٢١٥)
(٤)التعريفات له (ص ٨٢)

زمانٍ مخصوص"(١).

لكنَّ الأفضل والأولى في تعريف العبادات التذكيرُ بكونها عبادةً، كما نبّه عليه ابنُ عُثيمين رحمه الله بقوله في تعريف الحج: "وفي الشرع: التعبُّدُ لله عَزَّ وجَلَّ بأداء المناسك على ما جاء في سنَّةِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّم؛ لأنَّنا لو أخذنا بظاهِرِه لشَمِلَ من قصد مكَّةَ للتجارة مثلًا، ولكنَّ الأولى أن نذكر في كل تعريفٍ للعبادةِ: التعبد لله عَزَّ وجلَّ، فالصلاة لا نقول إنها: أفعالٌ وأقوالٌ معلومةٌ فقط، بل نقول: هي التعبُّدُ لله بأقوالٍ وأفعال معلومة، وكذلك الزكاة، وكذلك الصيامُ، وقولُ بعض الفقهاء في تعريفه: قصْدُ مكَّة لعملٍ مخصوصٍ، لا شكَّ أنَّه قاصر؛ لأنَّ الحَجَّ أخصُّ مما قالوا".(٢)

أنه ركن من أركان الإسلام:

الإسلام دين ربّاني، ارتضاه الله لعباده إلى يوم القيامة، ونسخ به جميع الأديان والشرائع، وهو دين كامل شامل لما فيه مصالح العباد والبلاد، ولقد أوجب الله على العبد بعد الإقرار بالشهادتين ودخوله في الإسلام أربعة أشياء: الصلاة والزكاة وصوم رمضان، والحج، وهذه الأشياء الخمسة هي أركان الإسلام الخمسة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ(٣).

أنه فريضة من الفرائض:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾. [سورة آل عمران: ٩٧].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذه آية وجوب الحج عند الجمهور. وقيل: بل هي قوله: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ والأول أظهر، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان

(١)أنيس الفقهاء (ص: ٤٨)
(٢) الشرح الممتع له (٧/ ٥-٦)
(٣) رواه البخاريّ في الإيمان (٨)، ومسلم في الإيمان (١٦: ٢٢)

الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع" (١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَارَسُولُ اللهِ ﷺفَقَال: ((أَيُّهَاالنَّاسُ قَدْ فَرَضَ الله عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا)). فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَو قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ))(٢).

أنه واجب في العمر مرة واحدة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْحَجُّ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً قَالَ: «بَلْ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»(٣).

فضائل الحج:

الحج له فضائل عظيمة، وفوائد عديدة، وهو عبادة يتقرّب بها المسلمون إلى خالقهم،فتصفو نفوسهم، فيلتقون على المودة، ويربط الإيمان والإسلام بينهم رغم تباعد الأقطار واختلاف الديار، وفي الحج يظهر التجرد من الدنيا، حيث يضحّي المسلم بماله ووقته وصحته، غير راغب في متاع من الدنيا، طامعا في فضل ربه عزوجل أن يرجعه بحج مبرور، وذنب مغفور. وفي الحج تظهر وحدة الأمة وتماسكهاوالمساواة فلا فرق بين العربي والعجمي، وبين الأبيض والأسود، فالكل سواء، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، ومن أهم فضائل الحج ما يلي:

- أنه من أفضل الأعمال إلى الله عزوجل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَل؟ قَال: ((إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ)). قِيل: ثُمَّ مَاذَا؟ قَال: ((جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ)). قِيل: ثُمَّ

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٨١)
(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٣٧)
(٣) رواه أبو داود في المناسك (١٧٢١) وصحّحه الألباني.

مَاذَا؟ قَال: ((حَجٌّ مَبْرُورٌ))(١).

قال ابن عبد البر رحمه الله: "الحجّ المبرور: هو المتقبّل. وقيل: الذي لا رياء فيه، ولا سمعة، ولا رفث، ولا فسوق، وكانت النفقة فيه من المال الطيّب"(٢).

وقال ابن الأثير رحمه الله: "هو الذي لا يخالطه شيء من المآثم. وقيل: هو المقبول المُقَابَلُ بالبرّ، وهو الثواب"(٣).

وقال النووي رحمه الله: "الأصح الأشهر أن المبرور هو الذي لا يخالطه إثم، مأخوذ من البرّ، وهو الطاعة. وقيل: هو المقبول، ومن علامة القبول أن يرجع خيرًا مما كان، ولا يعاود المعاصي".(٤)

- **الحج المبرور جزاؤه الجنة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: ((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلا الْجَنَّةُ))(٥)

- **أنه مُكفِّرٌ للذنوب**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((مَنْ حَجَّ للهَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)).(٦)

- **أنه ينفي الفقر**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الجَنَّةُ))(٧)

- **أنه يهدمُ ما كان قبله من السيئات**

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: فَلَمَّا جَعَلَ الله الإِسْلامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ف قُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ: فَقَبَضْتُ

(١) متفق عليه: رواه البخاريّ في الحج (١٥١٩)، ومسلم في الإيمان (٨٣).
(٢) الاستذكار (٤/ ١٠٤)
(٣) النهاية في غريب الحديث (١/ ١١٧)
(٤) شرح النووي عليى صحيح مسلم (٩/ ١١٩)
(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٥٢١) ومسلم في الحج (١٣٥٠)، واللفظ للبخاري.
(٦)متفق عليه: رواه البخاريّ في العمرة (١٧٧٣)، ومسلم في الحج (١٣٤٩).
(٧) رواه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣١)

يَدِيْ قَالَ: ((مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟))قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: ((تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟)). قُلْت: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَال: ((أَمَا عَلِمْتَ أَنّ الإِسْلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ)). الحديث.(١)

- **أنه جهاد في حق النساء**

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يَا رَسُولَ اللهَّ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلا نُجَاهِدُ؟ قَال: ((لا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ)).(٢)

- **الحاج في ضمان الله عزوجل**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ فِي ضَمَانِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ حَاجًّا».(٣)

وللحج أحكام ومسائل، وقد كتب عنها أهل العلم قديما وحديثا، وألّفوا فيه مؤلفات عديدة، بيّنوا فيها طريق الحج الصحيح، وأحكامه المتنوعة، ومسائله المختلفة، ليستفيد منها حجاج بيت الله الحرام، ويؤدّوا هذه الفريضة العظيمة على الوجه المطلوب وفق نصوص الكتاب والسنة، ومن أهم أحكام الحج ومسائله ما يلي:

تعجيل الحج لمن قدر عليه :

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:((مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ)).(٤)

يقول محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله في شرح هذا الحديث: "(من أراد) منكم أيها المسلمون وليس المراد به المخاطبون بخصوصهم (الحج فليتعجل)

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٢١).
(٢) رواه البخاريّ في الحج (١٥٢٠)
(٣) رواه الحميدي في مسنده (١٠٩٠)، وابن أبي عمر العدني في مسنده -كما في إتحاف الخيرة المهرة (٩٧٧). وإسناده صحيح، قال البوصيري: "هذا إسناد صحيح، رجاله رجال الصحيح".

(٤) رواه الإمام أحمد (١٨٣٤) وأبو داود (١٧٣٢) وابن ماجه (٢٨٨٣) وحسّنه الألباني.

فإن للتأخير آفات. (فإنه قد يمرض المريض) مجاز سُمِّيَ المشارفُ على المرض مريضًا لأن كل صحيح فهو مشارف على المرض ومثله قوله (وتضلُّ الضالّة) فسُمِّيَ ما هو معرض للضلال والذهاب ضالة (وتعرض الحاجة) فتمنع هذه الأشياء عن الأداء للحج فتفوته الفرصة ويكون غصة، وهذا كل طاعة يخاف أن يمنع شيئا لأدائها لا ينبغي تأخيرها فإنها قد لا تدرك أبدًا، وقد أشار القرآن إلى هذا ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨] ، وقد يكون التأخير سبباً للعقوبة بأن لا يوفق لأداء ما تيسر له من فعل الخير".(١)

وجود مَحْرَمٍ أو الزوج لمن أرادت الحج :

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول: ((لا يَخْلُوَنّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَم، وَلا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَم)). فَقَامَ رَجُلٌ فَقَال: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا؟ قَال: ((انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَأ هلك)).(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: ((لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَة، إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا)).(٣)

أخذ الزاد والراحلة للحج:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧].

والمراد بـ"بالسبيل" الزاد والراحلة كما هو مرويٌّ عن الصحابة والتابعين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: والسبيل: أن يصحَّ بدنُ العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به "(٤).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية :"أوجب الله حجه على المكلفين المستطيعين إليه سبيلا، وهو

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٧٤)

(٢)متفق عليه:رواه البخاريّ في جزاء الصيد (١٨٦٢)، ومسلم في الحج (١٣٤١)

(٣) متفق عليه:رواه مالك في الاستئذان (٣٧) والبخاريّ (١٠٨٨)، ومسلم (٤٢٠:١٣٣٩)

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٦١٠)

الذي يقدر على الوصول إليه بأي مركوبٍ يناسبه، وزاد يتزوّده، ولهذا أتى بهذا اللفظ الذي يمكنه تطبيقه على جميع المركوبات الحادثة، والتي ستحدث. وهذا من آيات القرآن، حيث كانت أحكامه صالحة لكل زمان وكل حال، ولا يمكن الصلاح التام بدونها، فمن أذعن لذلك وقام به فهو من المهتدين المؤمنين، ومن كفر فلم يلتزم حج بيته، فهو خارج عن الدين، ومن كفر، فإن الله غني عن العالمين"(١).

فعلى كل مسلم يريد أن يسافر إلى مكة المكرمة لأداء الحج أن يأخذ معه الزاد والراحلة، ولا يسافر إلا معه ما يكفيه لمطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ومركوبه ذهابا وإيابا، ولا يحل له بأي حالٍ من الأحوال أن يذهب للحج خالي اليد ، قليل الزاد ما لا يكفيه فيضطرّ إلى السؤال والتكفّف أمام الناس كما كان يفعل أهل اليمن فمنعهم الله من ذلك. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهلُ اليمن يحجّون ولا يتزوّدون، ويقولون: نحن المتوكِّلون، فإذا قدموا مكّة سألوا النّاس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (٢)[سورة البقرة: ١٩٧].

الحج عن الميت

إذا مات المسلمُ قبل أن يحجّ وكان مستطيعًا ناويًا للحجّ فعلى ورثته وأقاربه أن يحجّوا عنه من ميراثه قبل تقسيم أمواله فيما بينهم، لأنه حق الله عليه، ولابدّ من قضاء حق الخالق مثل حقوق المخلوقين، لأنه أحقُّ بالقضاء كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَت: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَال: ((نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيته؟ اقْضُوا اللهَّ فَاللهُّ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ)).(٣)

الحج عن العاجز والمريض:

وإذا كان المسلمُ مريضًا مرضًا لا

(١) تفسير السعدي (ص ٩٧١)

(٢) رواه البخاريّ في الحجّ (١٥٢٣)

(٣) رواه البخاريّ في جزاء الصيد (١٨٥٢)

يُرجى برؤُه في المستقبل، أو عاجزًا حيث لا يستطيع السفر إلى مكة، ولا يقدرُ على ركوب الراحلة، ففي هذه الحالة رخّصَ الشرعُ له أن يحجّ عنه أحدُ أقاربه كما صحّ عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمَ قَالَت: يَارَسُولَ اللهَّ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلَيْهِ فَرِيضَةُ اللهَّ فِي الْحَجِّ وَهُوَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((فَحُجِّي عَنْهُ)).(١)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ أَبِي أَدْرَكَهُ الْحَجُّ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لا يَثْبُتُ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَإِنْ شَدَدْتُهُ خَشِيتُ أَنْ يَمُوتَ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَال: ((أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَيْتَهُ أَكَانَ مُجْزِئًا؟)) .قَال: نَعَمْ. قَال: ((فَحُجَّ عَنْ أَبِيكَ)).(٢)

النهي عن حج الغير لمن لم يحج عن نفسه :

الذي يحجُّ حج البدل، عليه أن يحجّ عن نفسه أوّلًا ثم عن الغير ثانيًا، وإلّا لم يصحّ حجُّه، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ سَمِعَ رَجُلا يَقُول: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ. قَالَ: ((مَنْ شُبْرُمَةُ؟)). قَال: أَخٌ لِي أَوْ قَرِيبٌ لِي. قَال: ((حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟)) قَال: لا. قَال: ((حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ)).(٣)

هذه بعض الفضائل والمسائل المتعلقة بالحج ويجب على جميع الحجاج قبل السفر أن يأخذوا القدر الكافي من المعلومات عن أركان الحج وواجباته وأحكامه بقراءة الكتيبات والمطويات والكتب والرسائل أو بسماع دروس المشائخ والمشاركة في الدورات العملية، أو يشاهدوا طريق الحج عمليًّا في الوسائل الإلكترونية من يوتيوب، ونحوه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

(١) متفق عليه:رواه البخاريّ في جزاء الصيد (١٨٥٣)، ومسلم في الحج (١٣٣٥)
(٢) رواه النسائيّ (٢٦٤٠، ٥٣٩٣)
(٣) رواه أبو داود (١٨١١)، وابن ماجه (٢٩٠٣)، وصحّحه ابن خزيمة (٣٠٣٩)، وابن حبان (٣٩٨٨)

مأمورات ومحظورات

محظورات الإحرام

د. سعيد بن على القحطاني

الحظر: المنع والحجر، وحظر الشيء: أي منعه (١).

ومحظورات الإحرام: هي ما يحرم على المحرم فعله بسبب الإحرام وهي:

المحظور الأول: حلق الرأس، ويُلحق به سائر شعر البدن، بلا عذر؛ لقوله تعالى: {وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} (٢). وهذا نص على حلق الرأس، ويقاس عليه سائر شعر البدن. وأيضاً قوله تعالى: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} (٣). وقد فُسِّر قضاء التفث بقضاء ما عليهم من مناسكهم: من رمي الجمار، وحلق الشعر، ووضع الإحرام، والأخذ من الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، وذبح الذبيحة، ولبس الثياب، وما هم عليه في الحج، وأمر الحج كله، والعلم عند اللهَّ تعالى (٤).

قال العلامة الشنقيطي رحمه اللهَّ: ((وعلى هذا التفسير فالآية تدل على: أن الأظفار كالشعر بالنسبة للمحرم، ولاسيما أنها معطوفة بثم على نحر الهدايا؛ لأن اللهَّ تعالى قال: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لهمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهَّ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}، والمراد بذكر اسمه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام: التسمية عند

(١) القاموس المحيط، ص ٨٢، وشرح العمدة لابن تيمية، ٢/ ١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.
(٣) سورة الحج، الآية: ٢٩.
(٤) انظر: جامع البيان للطبري، ١٨/ ٦١٢ - ٦١٤، وتفسر القرآن العظيم، لابن كثير، ١٠/ ٤٨، وأضواء البيان للشنقيطي، ٥/ ٤٠٤.

نحر الهدايا، والضحايا، ثم رتب على ذلك قوله: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ}، فدل على أن الحلق، وقص الأظفار ونحو ذلك ينبغي أن يكون بعد النحر، كما قال تعالى: {وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن من حلق قبل أن ينحر لا شيء عليه)) (١).

المحظور الثاني: تقليم الأظفار من اليدين أو الرجلين بلا عذر؛ لأنه إزالة جزء من بدنه تحصل به الرفاهية.

فأشبه إزالة الشعر، إلا إذا انكسر ظفره وتأذَّى به فلا بأس أن يزيل المؤذي منه فقط ولا شيء عليه. قال ابن المنذر: ((وأجمعوا على أن المحرم ممنوع من أخذ أظفاره، وأجمعوا على أن له أن يزيل عن نفسه ما كان منكسراً منه)) (٢) (٣).

المحظور الثالث: تعمُّد تغطية الرأس للرجل، وكذلك الوجه على الصحيح للرجل بملاصق كالعمامة والغترة، والطاقية، وشبهها، أما غير المتصل الملاصق كالخيمة والشمسية، وسقف السيارة فلا بأس؛ لحديث عبد اللهَّ بن عمر رضي اللهَّ عنهما قال: قام رجل فقال: يا رسول اللهَّ ما تأمرنا أن نلبس من الثياب في الإحرام؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((لا تلبسوا القميص، ولا السراويلات، ولا العمائم، ولا البرانس (٤) [ولا الخفاف] إلا أن يكون أحد ليست له نعلان فليلبس الخفين، وليقطع أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا [من الثياب] شيئاً مسَّه زعفران أو ورسٌ] (٥) ولا تنتقب المرأة المحرمة،

(١) أضواء البيان، ٥/ ٤٠٤.
(٢) الإجماع، لابن المنذر، ص ٦٤، ونقل هذا الإجماع عن ابن المنذر الإمام ابن قدامة في المغني، ٥/ ١٤٦، والشرح الكبير، ٨/ ٢٢٢.
(٣) انظر: المغني، لابن قدامة، ٥/ ١٤٦، والشرح الكبير مع المقنع والإنصاف، ٨/ ٢٢٢، وأضواء البيان للشنقيطي، ٥/ ٤٠١ - ٤٠٥، وشرح العمدة لابن تيمية، ٢/ ٥ - ٨.
(٤) البرانس: الثوب الذي رأسه منه.
(٥) الورس: الورس: نبت أصفر يكون باليمين تتخذ منه المغرة للوجه، وتصبغ به الثياب [جامع الأصول لابن الأثير، ٣/ ٢٤].

ولا تلبس القُفَّازين)) (١).

أما جواز الاستظلال؛ فلحديث أم الحصين قالت: ((حججت مع رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع فرأيته حين رمى جمرةالعقبة، وانصرف وهو على راحلته، ومعه بلالٌ وأُسامة، أحدهما يقود به راحلته، والآخر رافعٌ ثوبه على رأس رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - من الشمس قالت: فقال رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - قولاً كثيراً، ثم سمعته يقول: ((إن أُمِّر عليكم عبد مجدَّع (٢) [حسبتها قالت] أسودُ يقودكم بكتاب اللهَّ تعالى فاسمعوا له وأطيعوا)) وفي لفظ قالت: ((حججت مع رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالاً وأحدهما آخذٌ بخطام ناقة رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - والآخر رافع ثوبه يستره من الحرِّ حتى رمى جمرة العقبة)) (٣).

وأما تغطية الوجه؛ فلحديث ابن عباس رضي اللهَّ عنهما، قال: بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته (٤)، أو قال فأوقصته، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((اغسلوه بماءٍ وسدر، وكفِّنوه في ثوبين، ولا تحنِّطوه، ولا تُخمِّروا رأسه؛ فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً)). وفي لفظ للبخاري: ((ولا تمسوه طيباً)) (٥)، بدلاً من: ((ولا تحنِّطوه)). وفي لفظ للبخاري: ((ولا تغطوا رأسه))

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الحج، باب ما ينهى من الطيب للمحرم والمحرمة، وقالت عائشة رضي اللهَّ عنها: لا تلبس المحرمة ثوباً بورس أو زعفران برقم ١٨٣٨، وما بين المعقوفتين من باب ما يلبس المحرم من الثياب، برقم ١٥٤٢، ومسلم، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة لبسه وما لا يباح، وبيان تحريم الطيب عليه، برقم ١١٧٧.

(٢) مجدَّع: أي مقطع الأعضاء، والتشديد للتكثير، وإلا فالجدع قطع الأنف والأذن، والشفة، والذي قطع منه ذلك أجدع.

(٣) مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((لتأخذوا مناسككم))، برقم ١٢٩٨.

(٤) وقصته: الوَقْصُ: كسر العُنُق، وقَصْتُ عُنُقَه أَقِصُها وَقْصاً، وَوَقَصَتْ به راحِلَتُه. [النهاية، مادة (وقص).

(٥) من طرف الحديث في صحيح البخاري، برقم، ١٢٦٧.

(١) بدلاً من: ((ولا تخمروا رأسه)). وفي لفظ للبخاري ومسلم: ((وكفِّنوه في ثوبيه)) (٢). بدلاً من: ((وكفنوه في ثوبين)). وفي لفظ لمسلم: ((وألبسوه ثوبيه)) (٣). وفي رواية لمسلم: أن رجلاً أوقصته راحلته وهو محرم، فقال رسول اللهَّ – صلى الله عليه وسلم –:

((اغسلوه بماء وسدر، وكفِّنوه في ثوبيه، ولا تُخمِّروا رأسه ولا وجهه؛ فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً)) (٤). وفي لفظ لمسلم: ((وقصت رجلاً راحلته، وهو مع رسول اللهَّ – صلى الله عليه وسلم –، فأمرهم رسول اللهَّ – صلى الله عليه وسلم – أن يغسِّلوه بماء وسدرٍ، وأن يكشفوا وجهه، ورأسه؛ فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً)) (٥) (٦).

والمرأة لا تلبس النقاب والبرقع ولا القفازين؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين)) (٧). ولكن إذا احتاجت إلى إلى ستر وجهها؛ لمرور الرجال الأجانب قريباً منها، فإنها تسدل الثوب أو الخمار من فوق رأسها على وجهها، قالت عائشة رضي اللهَّ عنها: ((كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول اللهَّ – صلى الله عليه وسلم – محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه)) (٨).

وعن فاطمة بنت المنذر رحمها اللهَّ

(١) من طرف الحديث في صحيح البخاري، برقم ١٨٣٩.
(٢) من طرف الحديث في صحيح البخاري، برقم ١٨٥١، وصحيح مسلم، برقم ١٢٠٦.
(٣) مسلم، برقم: ٩٦ – (١٢٠٦).
(٤) مسلم، برقم: ٩٨ – (١٢٠٦).
(٥) مسلم، برقم: ١٠٢ – (١٢٠٦).
(٦) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين، برقم ١٢٦٥، وكتاب جزاء الصيد، باب ما ينهى من الطيب للمحرم والمحرمة، برقم ١٨٣٩، وباب المحرم يموت بعرفة ولم يأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يؤدّى عنه بقية الحج، برقم ١٨٤٩، ١٨٥٠، ١٨٥١، ومسلم، كتاب الحج، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات، برقم ١٢٠٦.
(٧) متفق عليه، واللفظ للبخاري: البخاري، برقم ١٨٣٨، ومسلم، برقم ١١٧٧، وتقدم تخريجه في المحظور الأول: تعمد تغطية الرأس.
(٨) أبو داود، كتاب المناسك، باب المحرمة تغطي وجهها، برقم ١٨٣٥، وأحمد، ٦/ ٣٠، وفي سنده يزيد بن أبي زياد القرشي، وحسن إسناده الأرنؤوط لشاهده عند الحاكم، وسيأتي. انظر: شرح السنة للبغوي، ٧/ ٢٤٠.

قالت: ((كنَّا نُخمِّر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر)) (١).

وعن معاذة عن عائشة رضي اللهَّ عنها، قالت: ((المحرمة تلبس من الثياب ما شاءت، إلا ثوباً مسَّه ورس أو زعفران، ولا تتبرقع، ولا تَلَثَّم، وتسدل الثوب على وجهها إن شاءت)) (٢).

المحظور الرابع: لبس الرجل للمخيط عمدًا في جميع بدنه، أو في بعضه مما هو مفصّل على الجسم كالقميص، والعمامة، والسراويل، والبرانس – وهو كل ثوب رأسه منه – والقفازين، والخفين، والجوربين، وكل ثوب مسه وَرْسٌ أو زعفران؛ لحديث ابن عمر رضي اللهَّ عنهما وفيه: ((لا تلبسوا القميص، ولا السراويلات، ولا العمائم، ولا البرانس، ولا الخفاف إلا أن يكون أحد ليست له نعلان فليلبس الخفين وليقطع أسفل من الكعبين)) (٣).

ثم نسخ قطع الخفين على الصحيح لمن لم يجد النعلين، فعن جابر عن ابن عباس رضي اللهَّ عنهما قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يخطب بعرفات: ((من لم يجد النعلين فليلبس الخفين، ومن لم يجد إزاراً فليلبس سراويل للمحرم)).

ولفظ مسلم: ((من لم يجد النعلين فليلبس الخفين، ومن لم يجد إزاراً فليلبس سراويل)) (٤).

قال شيخنا الإمام ابن باز رحمه اللهَّ:

---

(١) الموطأ، ١/ ٣٢٨، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٤٥٤، وقال الألباني في إرواء الغليل، ٤/ ٢١٢: ((إسناده صحيح))، وانظر جامع الأصول، ٣/ ٣١.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٥/ ٤٧،قال محققو مسند الإمام أحمد، ٤٠/ ٢٢: ((وهذا إسناد صحيح، وله شاهد من حديث أسماء بنت أبي بكر، رواه مالك في الموطأ، ١/ ٣٢٨، عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر أنها قالت: ((كنا نخمِّر وجوهنا ونحن محرمات، ونحن مع أسماء بنت أبي بكر)) وإسناده صحيح، وقد أخرجه بنحوه، ابن خزيمة، ٢٦٩٠، والحاكم، ١/ ٤٥٤.

(٣)متفق عليه: البخاري، برقم ١٨٣٨، ورقم ١٥٤٢، ومسلم، برقم ١١٧٧، وتقدم تخريجه في المحظور الثالث: تعمد تغطية الرأس.

(٤)متفق عليه: البخاري، كتاب الحج، باب لبس الخفين للمحرم إذا لم يجد النعلين، برقم ١٨٤١، ومسلم، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة، برقم ١١٧٩.

((وأما ما ورد في حديث ابن عمر رضي اللهَّ عنهما من الأمر بقطع الخفين إذا احتاج إلى لبسهما لفقد النعلين فهو منسوخ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بذلك في المدينة، لما سئل عما يلبس المحرم من الثياب، ثم لما خطب الناس بعرفات أَذِنَ في لبس الخفين عند فقد النعلين، ولم يأمر بقطعهما، وقد حضر هذه الخطبة من لم يسمع جوابه في المدينة، وتأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز، كما قد عُلِمَ في علمي أصول الحديث والفقه)) (١)، وسمعته أيضاً يقول: ((والصواب أنه لا يقطع الخفين إذا لم يجد النعلين؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يأمر بقطع ذلك في عرفات، فالنسخ أقرب)) (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللهَّ: ((وإذا لم يجد نعلين، ولا ما يقوم مقامهما، فله أن يلبس الخف ولا يقطعه، وكذلك إذا لم يجد إزاراً فإنه يلبس السراويل ولا يفتقه، هذا أصح قولي العلماء؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - رخص في البدل في عرفات)) (٣).

قال ابن تيمية رحمه اللهَّ فيما يجوز للمحرم لبسه: ((يجوز أن يلبس كل ما كان من جنس الإزار والرداء، فله أن يلتحف بالجبة، والقميص، ونحو ذلك ويتغطَّى به باتفاق الأئمة)) (٤)، ولو خاط شقوق الإزار أو الرداء ورقعه فلا بأس به؛ فإن الذي يُمنع منه المحرم هو اللباس المصنوع على قدر الأعضاء وما فصِّل عليها (٥).

المحظور الخامس: تعمد استعمال الطيب بعد الإحرام في الثوب أو البدن، أو المأكول، أو المشروب، كأن يشرب قهوة فيها زعفران، إلا إذا كان قد ذهب طعمه وريحه؛ لحديث يعلى بن أمية - رضي الله عنه - أن رجلاً سأل النبي -

(١) مجموع فتاوى ابن باز، ١٦/ ٥٣ - ٥٤.
(٢)أثناء تقريره رحمه اللهَّ على صحيح البخاري على الحديث رقم.
(٣)مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٦/ ١١٠.
(٤)فتاوى ابن تيمية، ٢٦/ ١١٠.
(٥)انظر: مجموع فتاوى ابن باز، ١٧/ ١١٩.

صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول اللهَّ كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمِّخ بطيب؟ فسكت النبي - صلى الله عليه وسلم - ساعة، فجاءه الوحي، فأشار عمر - رضي الله عنه - إلى يعلى، فجاءه يعلى وعلى رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - ثوب قد أُظل به، فأدخل رأسه فإذا رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - مُحمّر الوجه، وهو يغطُّ، ثم سرِّي عنه، فقال: ((أين السائل عن العمرة؟)) فأُتي برجلٍ فقال: ((اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات، وانزع عنك الجبة، واصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك)). وفي لفظ: أن رجلاً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعليه أثر الخلوق، أو قال: صفرة، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ وفي الحديث قال: ((أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلوق عنك (١)، واتق الصفرة، واصنع في عمرتك ما تصنع في حجك)) (٢).

وسمعت شيخنا ابن باز رحمه اللهَّ تعالى يقول: ((وفيه من الفوائد: أن الإنسان إذا نسي فلبس جبة أو عمامة أو ثوباً جاهل أو ناسٍ وهو محرم فلا شيء عليه؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يأمره بفدية لجهله، وهكذا لو تضمَّخ بطيب بعد الإحرام وهو جاهل فلا شيء عليه، والناسي من باب أولى (٣).

أما الطيب الذي تطيب به قبل الإحرام في رأسه ولحيته فلا يضر بقاؤه بعد الإحرام؛ لأن الممنوع في الإحرام ابتداء الطيب لاستدامته.

المحظور السادس: قتل صيد البر الوحشي المأكول، واصطياده؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ} (٤). وقوله

(١)الخلوق: نوع من الطيب: أحمر أو أصفر، جامع الأصول، لابن الأثير، ٣/ ٣٠.

(٢)البخاري، كتاب الحج، باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب، برقم ١٥٣٦، وكتاب العمرة، باب: يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج، برقم ١٧٨٩.

(٣)سمعته أثناء تقريره رحمه اللهَّ على صحيح البخاري، الحديث رقم (٤٣٢٩).

(٤)سورة المائدة، الآية: ٩٥.

سبحانه: {وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا} (١). وقوله: {غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ} (٢). وقوله تعالى: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ} (٣)؛ ولحديث الصَّعب بن جثامة الليثي - رضي الله عنه -: أنه أهدى لرسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - حماراً وحشياً، وهو بالأبواء أو بودَّان (٤) فردَّه عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: ((إنا لم نردُّه إلا أنا حرمٌ)). وفي لفظ للبخاري: ((أما إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم)). وفي لفظ للبخاري أيضاً: قال الصعب: فلما عرف ما في وجهي ردَّهُ هديتي، قال: ((ليس بنا ردٌّ عليك ولكنا حرم)). وفي رواية لمسلم: ((أهديت له من لحم حمارِ وحشٍ)) (٥).

وعن ابن عباس رضي اللهَّ عنهما قال: أهدى الصعب بن جثَّامة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - حما روحش وهو محرم فرده عليه، وقال: ((لولا أنا محرمون لقبلناه منك)).

وعن أبي قتادة الأنصاري في قصة صيده الحمار الوحشي، وهو غير محرم، قال: فقال رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه - وكانوا محرمين -: ((أمنكم أحد أمره أن يحمل عليها، أو أشار إليها؟)) قالوا: لا، قال: ((فكلوا ما بقي من لحمها)) (٦). وفي لفظ: فقال للقوم: ((كلوا)) ومنهم محرمون (٧). وفي لفظ للبخاري: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((معكم منه شيء؟)) فقلت: نعم، فناولته العضد

(١)سورة المائدة، الآية: ٩٦.
(٢)سورة المائدة، الآية: ١.
(٣)سورة المائدة، الآية: ٢.
(٤)مكان في طريق الذاهب من المدينة إلى مكة. شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ٣٥٤.
(٥)متفق عليه: البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: إذا أهدي للمحرم حماراً وحشياً حياً لم يقبل، برقم ١٨٢٥، وكتاب الهبة، باب قبول الهدية، برقم ٢٥٧٣، وباب: من لم يقبل الهدية لعله، برقم ٢٥٩٦، ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، برقم ١١٩٣.
(٦)متفق عليه: البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب لا يشير المحرم إلى صيد لكي يصداده الحلال برقم ١٨٢٤، ومسلم كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، برقم ١١٩٦.
(٧)من طرف الحديث رقم ١٨٢١.

فأكلها حتى نفَّدها وهو محرم)) (١)، وفي لفظ للبخاري، قال معنا رجلها، فأخذها النبي – صلى الله عليه وسلم – فأكلها (٢). وفي لفظ للبخاري: ((إنما هي طعمة أطعمكموها اللهَّ)) (٣). وفي وفي لفظ لمسلم: ((هو حلال فكلوه)) (٤).

وذكر الإمام النووي رحمه اللهَّ روايات مسلم لحديث الصعب ثم قال: ((وهذه الطرق التي ذكرها مسلم صريحة في أنه مذبوح، وأنه إنما أهدى بعض لحم صيد لا كله، واتفق العلماء على تحريم الاصطياد على المحرم.

وقالت طائفة: لا يحل له لحم الصيد أصلاً: سواء صاده أوصاده غيره له، أو لم يقصده فيحرم مطلقاً، حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر، وابن عباس – رضي الله عنهم –،لقوله تعالى: {وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا} (٥). قالوا: المراد بالصيد المصيد؛ ولظاهر حديث الصعب بن جثامة؛ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – ردَّه، وعلل ردَّه بأنه محرم، ولم يقل: لأنك صدته لنا، واحتج الشافعي وموافقوه بحديث أبي قتادة المذكور في صحيح مسلم بعد هذا؛ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في الصيد الذي صاده أبو قتادة وهو حلال قال للمحرمين: ((هو حلال فكلوه)) وفي الرواية الأخرى قال: ((فهل معكم منه شيء؟)) قالوا: معنا رجله، فأخذها رسول اللهَّ – صلى الله عليه وسلم – فأكلها، وفي سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، عن جابر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يُصاد لكم)) (٦). هكذا الرواية: وسمعت شيخنا

(١)من طرف الحديث رقم ٢٥٧٠، ٥٤٠٧.
(٢)من طرف الحديث رقم ٢٨٥٤، ومسلم كذلك ٦٣ – (١١٩٦).
(٣)من طرف الحديث رقم ٥٤٩٠، ٥٤٩٢، ومسلم كذلك برقم ٥٧ – (١١٩٦).
(٤)مسلم، برقم ١١٩٦.

(٥)سورة المائدة، الآية: ٩٦.
(٦)أبو داود، كتاب المناسك، باب لحم الصيد للمحرم، برقم ١٨٥١، والترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في أكل الصيد للمحرم، برقم ٨٤٦،

ابن باز رحمه اللهَّ يقول أثناء تقريره على حديث جابر في منتقى الأخبار لعبد السلام ابن تيمية، الحديث رقم ٢٤٩٠: ((وهذا حديث جيد كما قال الشافعي رحمه اللهَّ)).

وحديث جابر أخرجه أيضاً أحمد، ٢٣/ ١٧١، وقال محققو المسند: ((صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن إن صح سماع المطلب بن عبد اللهَّ من جابر)) وذكروا جملة ممن خرجه، وانظر تمام البحث في فتح الباري لابن حجر، ٤/ ٢٢ - ٣٤.

وأما قولهم في حديث الصعب أنه - صلى الله عليه وسلم - علل بأنَّه محرم فلا يمنع كونه صيد له؛ لأنه إنما يحرم الصيد على الإنسان إذا صيد له، بشرط أنه محرم، فبين الشرط الذي يحرم به)) (١).

وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمه اللهَّ تعالى يقرر: أن صيد البر يحرم على المحرم بأمور: أن يصيده المحرم، أن يكون أمر بصيده، أو أشار به، أو أعان على صيده، أن يكون صيد من أجله (٢)، وقرر أن هذه الأحاديث كلها مدارها على أمرين:

أحدهما: أن يصاد الصيد من أجل المحرم - أي يصيده الحلال من أجل المحرم - أو يساعد المحرم على ذلك، فهذا لا يأكل منه المحرم.

والنسائي، كتاب المناسك، باب إذا أشار المحرم إلى الصيد فقتله الحلال، برقم ٢٨٣٠، قال الترمذي: ((وفي الباب عن أبي قتادة وطلحة، قال أبوعيسى: حديث جابر حديث مفسِّر، والمطلب لا نعرف له سماعاً من جابر، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، لا يرون بالصيد للمحرم بأساً إذا لم يصطده أو يُصد من أجله، قال الشافعي: هذا أحسن حديث روي في هذا الباب، وأقيس، والعمل على هذا، وهو قول أحمد وإسحاق)). [سنن الترمذي، في آخر الحديث رقم ٨٤٦]. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف السنن المذكورة هنا، ولكن قال عبد القادر الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول، ٣/ ٦٤: ((ولكن يشهد له حديث طلحة ... [عن عثمان التيمي قال: كنا مع طلحة بن عبيد اللهَّ ونحن حُرُمٌ فأُهدي له طيرٌ، وطلحة راقد فمنَّا من أكل، ومنا من تورَّع فلما استيقظ طلحة وفَّق من أكله، وقال: أكلناه مع رسول اللهَّ - صلى الله عليه وسلم -[مسلم، برقم ١١٩٧]. وحديث أبي قتادة الطويل الذي تقدم ...)) انتهى كلام عبد القادر الأرنؤوط.

(١)شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ٣٥٥ - ٣٥٧.

(٢)سمعته أثناء تقريره على أحاديث بلوغ المرام، الحديث ٧٥١، ٧٥٢.

الثاني: إذا صاد الحلال الصيد ولم يقصد به المحرم، ولم يساعده المحرم: لا بعمل، ولا بإشارة، فهذا يأكل منه المحرم، أما حديث الصعب بن جثامة، وردّ النبي – صلى الله عليه وسلم – عليه الحمار الوحشي [فـ] حمل على أمرين: إما أنه أهداه حياً، وإما أنه صاده من أجله، والمحرم لا يأكل ما صيد من أجله، وأما الصيد الحي فلا يقبله المحرم إذا أُهدي إليه، ولا يشتريه، وبهذا يجتمع شمل الأخبار؛ ولهذا أكل الصحابة من الصيد، وحديث جابر – رضي الله عنه – نص في الباب ((صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يُصاد لكم)) وهو حديث جيد كما قال الشافعي رحمه اللهَّ (١). واللهَّ تعالى أعلم (٢).

(١)سمعته رحمه اللهَّ أثناء تقريره على أحاديث المنتقى من أخبار المصطفى – صلى الله عليه وسلم – لعبد السلام بن تيمية، الأحاديث رقم ٢٤٧٩ – ٢٤٩٠.

(٢)أجمع العلماء على منع صيد البر للمحرم بحج أو عمرة، وأجمع العلماء على أن ما صاده محرم لا يجوز أكله للمحرم الذي صاده، ولا لمحرم غيره، ولا لحلال غير محرم، واختلف العلماء في أكل المحرم مما صاده الحلال على ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يجوز له الأكل مطلقاً. القول الثاني: يجوز الأكل مطلقاً. القول الثالث: التفصيل بين ما صاده لأجله، وما صاده لا لأجله، فيمنع الأول دون الثاني [أضواء البيان للشنقيطي، ٢/ ١٣١ – ١٣٣] ثم قال: ((أظهر الأقوال وأقواها دليلاً: هو القول المفصل بين ما صيد لأجل المحرم فلا يحل له، وبين ما صاده الحلال لا لأجل المحرم فإنه يحل)) ولا تجوز ذكاة المحرم للصيد، فإن ذبحه فهو ميتة لا يحل أكله لأحد كائناً من كان [أضواء البيان للشنقيطي،٢/ ١٣٧، والشرح الممتع لابن عثيمين، ٧/ ٢٩٠]، ولا شك أن الحيوان البري ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صيدٌ إجماعاً: كالغزال فيمنع قتله للمحرم.

القسم الثاني: ليس بصيد إجماعاً ولا بأس بقتله، بل يستحب قتله: وهو الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور، والحية.

قال الشنقيطي: ((والجاري على الأصول تقييد الغراب بالأبقع؛ لما روى مسلم عن عائشة في غير الفواسق المذكورة ((... والغراب الأبقع)) [مسلم، برقم ٧٢ – (١١٩٩) [أضواء البيان،٢/ ١٣٨] قال شيخنا ابن باز في حاشيته على بلوغ المرام، الحديث رقم ٧٠٢: ((ولم يذكر تقييد الغراب بالأبقع إلا سعيد [بن المسيب] عن عائشة. ثم قال الشنقيطي: ((والمقرر في الأصول حمل المطلق على المقيد، وما أجاب به بعض العلماء من أن روايات الغراب بالإطلاق متفق عليها، فهي أصح من رواية القيد بالأبقع: لا ينهض، إذ لا تعارض بين مقيد ومطلق؛ لأن القيد بيان للمراد من المطلق)) [أضواء البيان ٢/ ١٣٨].

القسم الثالث: مختلف فيه: كالأسد، والنمر، والفهد، والذئب، قال العلامة الشنقيطي رحمه اللهَّ: ((ولا شك أن السباع العادية: كالأسد، والنمر، والفهد أولى بالقتل من الكلب [العقور] لأنها أقوى منه عقراً، وأشد منه فتكاً)) [أضواء البيان، ٢/

المحظور السابع: عقد النكاح، فلا يتزوج المحرم، ولا يزوج غيره بولاية ولا وكالة، ولا يخطب، ولا يتقدم إليه أحد يخطب بنته أو أخته أو غير ذلك؛ لحديث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: قال رسول اللهَّ – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يَنْكِحُ المحرِمُ، ولا يُنْكِح، ولا يخطب [ولا يُخطب عليه])) (١) (٢).

وعقد النكاح ليس فيه فدية ولكن يفسد النكاح (٣)، وهو مذهب جماهير العلماء، والموافق للنصوص الصحيحة.

المحظور الثامن: الوطء الذي يوجب الغسل؛ لقول اللهَّ تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ} (٤). والرفث هو الجماع، فمن حصل له الجماع متعمداً قبل التحلل الأول فسد نسكه، ويجب عليه إتمامه، وعليه بدنة، ويقضي الحج بعد ذلك، وأما من حصل له الجماع بعد التحلل الأول فإنه لا يبطل حجه، وعليه ذبح شاة، ويأتي التفصيل في ذلك في الفدية (٥).

المحظور التاسع: المباشرة فيما دون الفرج بوطء في غيره، ولو بتقبيل، أو لمس، أو نظر بشهوة (٦)، لقوله تعالى: {فَلاَ رَفَثَ} ويدخل في الرفث: المباشرة فيما دون الفرج، كما يدخل فيه الفحش:

١٣٨]، قال الشنقيطي رحمه اللهَّ: ((والتحقيق أن السباع العادية ليست من الصيد فيجوز قتلها للمحرم وغيره في الحرم وغيره)) أضواء البيان، ٢/ ١٣٩.

(١)مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته، برقم ١٤٠٩، وما بين المعقوفتين زادها ابن حبان، برقم ١٢٤، ولفظه: ((لا يَنكح المحرم، ولا يُنكح، ولا يخطب، ولا يخطب عليه)) [قال شعيب الأرنؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبان: ((حديث صحيح رجاله ثقات)).

(٢)انظر: شرح العمدة لابن تيمية، ٢/ ١٨٥ – ٢١٦.

(٣)انظر: المرجع السابق، ٢/ ١٨٥.

(٤)سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٥)انظر: شرح العمدة لابن تيمية، ٢/ ٢٢٦ – ٢٦٣.

(٦)انظر: شرح عمدة الأحكام لابن تيمية، ٢/ ٢١٧ – ٢٢٥، وانظر جميع المحظورات في هذا الكتاب المشار إليه، ٢/ ٥ – ٢٧٤، والفدية لجميع هذه المحظورات بالتفصيل والتحقيق فيه، ٢/ ٢٧٤ – ٤٠٨.

من القول والفعل، والفسوق: جميع المعاصي، والجدال الممنوع ما كان بالباطل، وهو الجدال الذي يترتب عليه عداوة وبغضاء، وأما الجدال بالتي هي أحسن لإظهار الحق فهو مأمور به، لقول اللهَّ تعالى: {وَجَادِلهم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (١)، وقوله تعالى: {وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} (٢).

قال العلامة الشنقيطي رحمه اللهَّ: ((والأظهر في معنى الرفث في الآية أنه شامل لأمرين:

أحدهما: مباشرة النساء بالجماع ومقدماته.

الثاني: الكلام بذلك، كأن يقول المحرم لامرأته: إن أحللنا من إحرامنا فعلنا كذا وكذا، ومن إطلاق الرفث على مباشرة المرأة كجماعها، قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ} (٣). فالمراد بالرفث في الآية: المباشرة بالجماع ومقدماته ... والأظهر في معنى الفسوق في الآية: أنه شامل لجميع أنواع الخروج عن طاعة اللهَّ تعالى، والفسوق في اللغة الخروج ... والأظهر في الجدال في معنى الآية: أنه المخاصمة، والمراء: أي لا تخاصم صاحبك، وتماره حتى تغضبه، وقال بعض أهل العلم: معنى لا جدال أي: لم يبق فيه مراء ولا خصومة؛ لأن اللهَّ أوضح أحكامه على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم –)) (٤).

***

(١)سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٢)سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.
(٣)سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٤)أضواء البيان للشنقيطي، ٥/ ٣٥٧ – ٣٥٨.

أخطاء وتنبيهات

تنبيهات على أخطاء بعض الحجيج والمعتمرين

معالي الشيخ صالح بن فوازان الفوزان

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شررو أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد:

أيها الناس : اتقوا الله، واحرصوا على أن يكون حجكم وسائر أعمالكم خالصا لوجه الله من جميع البدع والخرافات، حتى يكون عملكم متقبلا، وحجكم مبرورا، وسعيكم مشكورا، لأن من الحجاج من يرتكب أخطاء كثيرة في حجه، وهذه الأخطاء منها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بأحكام الحج العملية .

في العقيدة

فالذي يتعلق بالعقيدة :

– هو أن بعض الحجاج، سواء في مكة أو في المدينة، يذهبون إلى المقابر ليتوسلوا بالموتى ويتبركون بقبورهم أو يسألوا الله بجاههم وما أشبه ذلك من الأعمال الشركية، أو البدعية المخالفة لسنة رسول الله ﷺ في زيارة القبور،لأن سنة الرسول ﷺ أن تزار القبور للاعتبار وتذكر الآخرة، والدعاء لأموات المسلمين بالمغفرة والرحمة، وأن يكون ذلك بدون سفر وشد رحال، وأن تكون الزيارة للرجال دون النساء، كما قال ﷺ :«كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فإنها تذكر بالآخرة». وهذا خطاب للرجال، خاصة لأن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور، وكان إذا زار القبور دعا لأصحابها بالمغفرة والرحمة، هذا هديه ﷺ في زيارتها، أنه لأجل اعتبار الزائر واتعاظه، والدعاء للميت المزور بالمغفرة والرحمة، أما أن تزار

القبور بقصد الدعاء عندها، أو التبرك والتوسل بأصحابها، أو الاستشفاع بهم، فهذا مخالف لهدي النبي ﷺ وهو إما شرك بالله أو وسيلة للشرك يتنافى مع أعمال الحج ومقاصده.

– ومن الحجاج من يتعب بدنه، ويضيع وقته وماله في الذهاب إلى المزارات المزعومة في مكة والمدينة، ففي مكة يذهب إلى غار حراء وغار ثور وغيرهما، مما لا تشرع زيارته، وفي المدينة يذهب إلى المساجد السبعة ومسجد القبلتين وأماكن معينة للصلاة فيها والدعاء عندها والتبرك بها، وزيارة هذه الأماكن في مكة أو المدينة والتعبد فيها هو من البدع المحدثة في دين الاسلام، فليس هناك مساجد في الأرض تقصد للصلاة فيها إلا المساجد الثلاثة: (المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ و المسجد الأقصى)، ومسجد قباء لمن كان بالمدينة، وليس هناك مغارات ولا أمكنة تزار في دين الاسلام لا في مكة ولا في المدينة ولا غيرهما لأنه لا دليل على ذلك، والحاج إنما جاء يطلب الأجر والثواب من الله، فليقتصر على ما، من شرعه الله ورسوله، ولو أن الحاج وفر وقته للصلاة في المسجد الحرام إذا كان في مكة، وفي مسجد الرسول إذا كان في المدينة، ووفر ماله للانفاق في سبيل الله والصدقة على المحتاجين، لحصل على الأجر والثواب، أما إذا أضاع هذه الإمكانيات في البدع والخرافات، فإنه يحصل على الإثم والعقاب، فالواجب على الحاج أن يتنبه لهذا، ولا يغتر بالجهال والمبتدعة . أو بما كتب في بعض المناسك من الترويج لهذه المبتدعات والدعاية لها . وعليه أن يراجع المناسك الموثوقة التي ألفت علي ضوء الكتاب والسنة لأجل المحافظة على سلامة عقيدته وحجه، ويستشير أهل العلم فيما أشكل عليه، وأما الأخطاء التي تتعلق بأعمال الحج فمنها :

أولا : في الإحرام

– بعض الحجاج القادمين عن طريق الجو يؤخرون الإحرام حتى يترلوا في مطار جدة، فيحرموا منها أو دونها مما يلي مكة وقد تجوزوا المقيات الذي مروا به في

طريقهم، وقد قال ﷺ في المواقيت: «هي لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن »، فمن مر بالميقات الذي في طريقه أو حاذاه في الجو أو في الأرض وهو يريد الحج أو العمرة، وجب عليه أن يحرم منه أو من محاذاته، فإن تجاوزه وأحرم من دونه أثم وترك واجبا من واجبات النسك يجبره بدم، لأن جدة ليست ميقاتا لغير أهلها ومن نوى النسك منها .

– بعض الحجاج إذا أحرموا أخذوا لهم صورة تذكارية يحتفظون بها ويطلعون عليها أصدقاءهم ومعارفهم، وهذا خطأ من ناحيتين :

أولا: أن التصوير في حد ذاته حرام ومعصية للأحاديث الواردة في تحريمه والوعيد عليه، والحاج في عبادة فلا يليق به أن يفتتح هذه العبادة بالمعصية .

ثانيا: أن هذا يدخل في الرياء، لأن الحاج إذا أحب أن يطلع الناس عليه وعلى صورته وهو محرم فإن هذا رياء، والرياء يحبط العمل، وهو شرك أصغر، وهو في صفات المنافقين .

– يظن بعض الحجاج أنه يجب على الانسان إذا أراد أن يحرم أن يحضر عنده كل ما يحتاجه من الحذاء والدراهم وسائر الأغراض وأنه لا يجوز له أن يستعمل الأشياء التي لم يحضرها عند الإحرام، وهذا خطأ كبير وجهل فظيع،لأنه لا يلزمه شيء في ذلك، ولا يحرم عليه أن يستعمل الحوائج التي لم يحضرها عند الإحرام، بل له أن يشتري ما يحتاج إلى شرائه، ويستعمل ما يحتاج استعماله، وأن يغير ملابس الإحرام بمثلها، وأن يغير حذاءه بحذاء آخر، ولا يتجنب إلا محظورات الإحرام المعروفة.

– بعض الرجال إذا أحرموا كشفوا أكتافهم على هيئة الاضطباع، وهذا غير مشروع إلا في حال الطواف (طواف القدوم، أو طواف العمرة) وما عدا ذلك يكون الكتف مستورا بالرداء في كل الحالات .

– بعض النساء يعتقدن أن الإحرام يتخذ له لون خاص، كالأخضر مثلاً، وهذا خطأ، لأنه لا يتعين لون خاص

للثوب الذي تلبسه المرأة في الإحرام، إنما تحرم بثيابها العادية إلا ثياب الزينة، أو الثياب الضيقة أو الشفافة، فلا يجوز لبسها لا في الإحرام ولا في غيره .

– بعض النساء إذا أحرمن يضعن على رؤوسهن ما يشبه العمائم أو الرافعات لأجل غطاء الوجه حتى لا يلامس الوجه . وهذا خطأ وتكلف لا داعي له ولا دليل عليه، لأن في حديث عائشة رضي الله عنها لا أن النساء كن يغطين وجوههن عن الرجال وهن محرمات، و لم تذكر وضع عمامة أو رافع.

– بعض النساء إذا مرت بالميقات تريد الحج أو العمرة وأصابها الحيض قد لا تحرم ظنا منها أو من وليها أن الإحرام تشترط له الطهارة من الحيض، فتتجاوز الميقات بدون إحرام، وهذا خطأ واضح لأن الحيض لا يمنع الإحرام، فالحائض تحرم وتفعل ما يفعل الحاج غير الطواف بالبيت فإنها تؤخره إلى أن تطهر كما وردت به السنة، وإذا أخرت الإحرام وتجاوزت الميقات بدونه، فإنها إن رجعت إلى ذلك الميقات وأحرمت منه فلا شيء عليها، وإن أحرمت من دونه فعليها دم لترك الواجب عليها.

ثانيا : الطواف

– كثير من الحجاج يلتزم أدعية خاصة في الطواف، يقرؤها من مناسك، وقد يكون مجموعات منهم يتلقونها من قارئ يلقنهم إياها ويرددونها بصوت جماعي، وهذا خطأ من ناحيتين : **الأولى**: أنه التزم دعاء لم يرد إلتزامه في هذا الموطن، لأنه لم يرد عن النبي ﷺ في الطواف دعاء خاص .

الثانية: أن الدعاء الجماعي بدعة وفيه تشويش على الطائفين، والمشروع أن يدعو كل شخص لنفسه وبدون رفع صوته .

– بعض الحجاج يقبل الركن اليماني، وهذا خطأ، لأن الركن اليماني يستلم باليد فقط ولا يقبل . وإنما يقبل الحجر الأسود، فالحجر الأسود يستلم ويقبل إن أمكن أو يشار مع الزحمة إليه وبقية الأركان لا تستلم ولا تقبل .

– بعض الناس يزاحم لاستلام الحجر

الأسود وتقبيله، وهذا غير مشروع،لأن الزحام فيه مشقة شديدة وخطر على الإنسان وعلى غيره، وفيه فتنة مزاحمة الرجال للنساء، والمشروع تقبيل الحجر واستلامه مع الإمكان، وإذا لم يتمكن أشار إليه بدون مزاحمة وخاطرة وافتتان، والعبادات مبناها على اليسر والسهولة، لا سيما وأن استلام الحجر وتقبيله مستحب مع إلامكان ..ومع عدم الإمكان تكفي الإشارة إليه، والمزاحمة قد يكون فيها ارتكاب محرمات، فكيف ترتكب محرمات لتحصيل سنة ؟!

ثالثا : في التقصير من الرأس للحج أو العمرة

– بعض الحجاج يكتفي بقص شعرات من رأسه وهذا لا يكفي ولا يحصل به أداء النسك، لأن المطلوب التقصير من جميع الرأس لأن التقصير يقوم مقام الحلق، والحلق لجميع الرأس، فكذا التقصير يكون لجميع الرأس قال تعالى : ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ والذي يقصر بعض رأسه لا يقال: إنه قصر رأسه وإنما يقال قصر بعضه .

رابعا : في الوقوف بعرفة

– بعض الحجاج لا يتأكد من مكان الوقوف ولا ينظر إلى اللوحات الإرشادية المكتوب عليها بيان حدود عرفة فينزل خارج عرفة، وهذا إن استمر في مكانه ولم يدخل عرفة أبدا وقت الوقوف لم يصح حجه، فيجب على الحجاج الاهتمام بهذا الأمر والتأكد من حدود عرفة ليكونوا داخلها وقت الوقوف .

– يعتقد بعض الحجاج أنه لابد في الوقوف بعرفة من رؤية جبل الرحمة أو الذهاب إليه والصعود عليه، فيكلفون أنفسهم عنتا ومشقة شديدة، ويتعرضون لأخطار عظيمة من أجل الحصول على ذلك . وهذا كله غير مطلوب منهم، وإنما المطلوب حصولهم في عرفة في أي مكان منها لقوله ﷺ: «وعرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة » سواء رأوا الجبل أو لم يروه، ومنهم من يستقبل الجبل في الدعاء و المشروع استقبال الكعبة.

– بعض الحجاج ينصرفون ويخرجون من عرفة قبل غروب الشمس وهذا لا

يجوز لهم، لأن وقت الانصراف محدد بغروب الشمس، فمن خرج من عرفة قبله ولم يرجع إليها فقد ترك واجبا من واجبات الحج. ويلزمه به دم مع التوبة إلى الله، لأن الرسول ما زال واقفا بعرفة حتى غروب الشمس، وقد قال ﷺ: « خذوا عني مناسككم»،

خامسا : في مزدلفة

– المطلوب من الحاج إذا وصل إلى مزدلفة أن يصلي المغرب والعشاء جمعا و يـــــبيت فيها فيصلي بها الفجر ويدعو إلى قبيل طلوع الشمس . ثم ينصرف إلى منى . ويجوز لأهل الأعذار خاصة النساء وكبار السن والأطفال ومن يقوم بتولي شؤونهم الانصراف بعد منتصف الليل، ولكن يحصل من بعض الحجاج أخطاء في هذا النسك، فبعضهم لا يتأكد من حدود مزدلفة وببيت خارجها . وبعضهم يخرج منها قبل منتصف الليل ولا يبيت فيها، ومن لم يبت بمزدلفة من غير عذر فقد ترك واجبا من واجبات الحج يلزمه به دم جبرا مع التوبة والاستغفار .

سادسا : في رمي الجمرات

رمي الجمرات واجب من واجبات الحج وذلك بأن يرمي الحاج جمرة العقبة يوم العيد، ويجوز بعد منتصف الليل من ليلة العيد ويرمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق بعد زوال الشمس،لكن يحصل من بعض الحجاج في هذا النسك أخطاء :

– **فمنهم** : من يرمي في غير وقت الرمي، بأن يرمي جمرة العقبة قبل منتصف الليل في ليلة العيد، أو يرمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق قبل زوال الشمس، وهذا الرمي لا يجزئ لأنه في غير وقته المحدد له، فهو كما لو صلى قبل دخول وقت الصلاة المحدد لها .

– **ومنهم** : من يخل بترتيب الجمرات الثلاث فيبدأ من الوسطى أو الأخيرة . والواجب أن يبدأ بالصغرى ثم الوسطى ثم بالكبرى وهي الأخيرة .

– **ومنهم** : من يرمي في غير محل الرمي وهو حوض الجمرة، وذلك بأن يرمي الحصى من بعد فلا تقع في الحوض . أو يضرب بها العمود فتطير ولا تقع في

الحوض ، وهذا رمي لا يجزئ، لأنه لم يقع في الحوض و السبب في ذلك الجهل أو العجلة أو عدم المبالاة .

– **ومنهم**: من يقدم رمي الأيام الأخيرة مع رمي اليوم الأول من أيام التشريق، ثم يسافر قبل تمام الحج، وبعضهم إذا رمى لليوم الأول يوكل من يرمي عنه البقية ويسافر إلى وطنه.

وهذا تلاعب بأعمال الحج وغرور من الشيطان، فهذا الإنسان تحمل المشاق وبذل الأموال لأداء الحج، فلما بقي عليه القليل من أعماله تلاعب به الشيطان فأخل بها وترك عدة واجبات من واجبات الحج، وهي رمي الجمرات الباقية وترك المبيت بمنى ليلة أيام التشريق، وطوافه للوداع في غير وقته،لأن وقته بعد نهاية أيام الحج وأعماله . فهذا لو لم يحج أصلا وسلم من التعب وإضاعة المال لكان أحسن لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ ومعنى إتمام الحج والعمرة : إكمال أعمالهما لمن أحرم بهما على الوجه المشروع، وأن يكون القصد خالصا لوجه الله تعالى .

– من الحجاج من يفهم خطأ في معنى التعجل الذي قال الله تعالى فيه : ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ فيظن أن المراد باليومين يوم العيد ويوم بعده، وهو اليوم الحادي عشر ويقول : أنا متعجل، وهذا خطأ فاحش سببه الجهل، لأن المراد يومان بعد العيد : هما اليوم الحادي عشر والثاني عشر . من تعجل فيهما فنفر بعد أن يرمي الجمار بعد زوال الشمس من اليوم الثاني فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى اليوم الثالث فرمي الجمار بعد زوال الشمس فيه ثم نفر فهذا أفضل وأكمل.

فاتقوا الله عباد الله، وأدوا حجكم على وفق ما شرع الله خالصا لوجهه تفوزوا بثوابه .

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

***

وصايا ونصائح

وصية الله لحجاج بيته الحرام

الشيخ صالح آل طالب

وصيةُ الله للأولين والآخرين تقوى الله: وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ [النساء: ١٣١]، ووصيةُ الله لحُجَّاج بيته تقوى الله: وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ [البقرة: ١٩٧].

أيها المسلمون:

حُجَّاج بيت الله الحرام! شكرَ اللهُ سعيَكم، وبارَكَ خطوَكم، وأدامَ سعدَكم.

فلله ما أهناكم! والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من حجَّ هذا البيتَ فلم يرفُث ولم يفسُق رجعَ كيوم ولدَته أمُّه» - أي: نقيًّا من الذنوب والخطايا -؛ رواه البخاري ومسلم.

وفي "الصحيحين" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «العُمرةُ إلى العُمرة كفَّارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنة».

فيا لها من منحةٍ تطرَبُ لها النفوسُ المؤمنةُ، وتهُونُ في سبيلها كلُّ المتاعِب والصِّعاب.

أيها المسلمون في كل مكان:

حُجَّاج بيت الله الحرام! أيامُكم هذه أيامٌ عظَّم اللهُ أمرَها، وشرَّفَ قدرَها، وأقسمَ بها في كتابه العزيز، فقال - جلَّ شأنُه -: وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ [الفجر: ١، ٢].

وقال عنها النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام». قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهادُ في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله ثم لم يرجِع من ذلك بشيءٍ»؛ أخرجه البخاري.

وعند الإمام أحمد: «فأكثِروا فيهنَّ من التهليل والتكبير والتحمِيد».

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

كبِّروا ليبلُغ تكبيرُكم عَنانَ السماء، كبِّروا فإن اللهَ عظيمٌ يستحقُّ الثناء، أكثِروا من الأعمال الصالحة، وتزوَّدوا من ساعات هذه الأيام ولياليها، فهي التجارة الرابحة، واعلموا أن لله تعالى نفَحَات فاستكثِروا من الصالحات، وتطهَّروا من دَنَس المعاصي والسيئات، إن العُمر لا يعُود، والمَوسِمَ لا يدُوم، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ.

حُجَّاج بيت الله الحرام:

اليومُ الثامنُ من ذي الحجَّة، وفي ضُحاهُ يُحرِمُ من يُريدُ الحجَّ ويذهبُ إلى مِنَى فيُصلِّي بها الظهرَ في وقتها قصرًا والعصرَ في وقتها قصرًا والمغربَ في وقتها والعشاء في وقتها قصرًا، ويبيتُ بمِنَى هذه الليلة، فإذا صلَّى بها الفجرَ وطلَعَت شمسُ اليوم التاسع توجَّه إلى عرفات وصلَّى بها الظهر جمعًا وقصرًا، ثم يقِفُ على صعيد عرفات مُكثِرًا من ذكر الله تعالى، مُتذلِّلاً بين يديه يسألُه خيرَي الدنيا والآخرة، ويُلِحُّ في الدعاء والرجاء في ذلك الموقف العظيم؛ فإن الحجَّ عرفة، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وقال أيضًا: «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ»؛ رواه الترمذي.

وفي ساحةِ الغُفرانِ في عرفات تخشَعُ القلوبُ، وتَذرِفُ العيون، تُسكَبُ العَبَرات، تُقالُ العَثَرات، وتُرفَعُ الدرجات، ويُباهِي اللهُ بحُجَّاجه ملائكةَ السماوات، ويقول – سبحانه –: «انظروا إلى عبادي أتَوني شُعثًا غُبرًا ضاحِين من كلِّ فجٍّ عميقٍ، أُشهِدُكم أني غفرتُ لهم».

ومن لم يكن حاجًّا فيُستحبُّ له صيامُ يوم عرفة مُحتسِبًا أن يُكفِّرَ اللهُ عنه السنةَ الماضيةَ والباقيةَ، كما قال ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الذي رواه مسلم.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من يومٍ أكثر من أن يُعتِقَ اللهُ فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنُو ثم يُباهِي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟»؛ رواه مسلم.

فإذا غربَت الشمسُ، انصرَفَ إلى مُزدلِفَة بسكينةٍ ووقارٍ، وصلَّى بها المغربَ والعشاء جمعًا، ويقصُرُ العشاء، ويبيتُ بمُزدلِفةَ تلك الليلة، ويُصلِّي بها الفجرَ، ويُكثِرُ من ذكر الله ومن الدعاء حتى يُسفِرَ جدًّا، ثم ينصرِفُ إلى مِنَى قُبيلَ طُلوع الشمس، ويجوزُ للضَّعَفة من النساء والصبيان ونحوِهم الانصرافُ من مُزدلِفة بعد نصف الليل، ويتحقَّقُ ذلك بغروب القمر.

فإذا وصل الحاجُّ إلى مِنَى رمى جمرة العقبة بسبع حصَيَاتٍ مُتعاقباتٍ يُكبِّرُ مع كل حَصاة، ثم ينحَرُ الهديَ إن كان عليه هَدي، ثم يحلِقُ رأسَه أو يُقصِّرُه، والحلقُ أفضل، ثم يتوجَّه للبيت الحرام إن تيسَّر له يوم العيد وإلا بعده، فيطوفُ طوافَ الإفاضة، ثم يسعَى بين الصفا والمروة، فإن كان قارِنًا أو مُفرِدًا وقد سعى قبل الحجِّ بعد طوافِ القُدُوم فيكفيه سعيُه ذلك، ومن قدَّمَ شيئًا أو أخَّر شيئًا من أعمال يوم النحر، فلا حرج عليه.

ثم يعودُ إلى مِنَى، ويبيتُ بها ليالي أيام التشريق، ويرمِي الجِمارَ الثلاث في كل يومٍ بعد زوال الشمس، ثم إن شاءَ تعجَّل في يومين، وإن شاء تأخَّر لليوم الثالث عشر - والتأخُّر أفضل -، ثم لا يبقَى عليه إلا طوافُ الوداعِ عندما يُريدُ السفرَ من مكة.

أيها المسلمون:

ولقد كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - مواطنُ يُكثِرُ فيها من الدعاء حريٌّ بالمُسلمِ أن يتحرَّاها، وأن يحرِصَ عليها؛ منها: يوم عرفة - وبالأخصِّ آخر النهار -، وبعد صلاة الفجر بمُزدلِفة حتى يُسفِر جدًّا، وبعد رمي الجمرة الأولى، وبعد رمي الجمرة الثانية من أيام التشريق، وكذا الدعاء فوق الصفا والمروة.

فاجتهِدوا في تمام حجِّكم، واتقوا

الله فيما تأتون وتذَرُون، وأخلِصوا لله في عملكم وقصدِكم، واتَّبِعوا الهُدى والسنَّة، واجتنِبوا ما يخرِمُ حجَّكم أو يُنقِصُه، وعليكم بالرِّفقِ والسكينةِ والطُّمأنينة والشَّفَقَة والرحمة بإخوانكم المُسلمين - سيَّما في مواطن الازدحام، وأثناء الطواف، ورميِ الجِمار، وعند أبوابِ المسجد الحرام -.

واستشعِروا عِظَمَ العبادة وجلالة الموقف، جعل الله حجَّكم مبرورًا، وسعيَكم مشكورًا، وذنبَكم مغفورًا.

ولقد بُنِي هذا البيتُ العتيقُ مُؤسَّسًا على التوحيد ولأجل التوحيد: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا [الحج: ٢٦].

ومنذ أن دخلتَ النُّسُك وأنت مُعلِنٌ للتوحيد: "لبَّيك اللهم لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملك، لا شريك لك".

وفي ثنايا آيات الحج يقول الله تعالى: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج: ٣٠، ٣١].

وفي حديث جابرٍ - رضي الله عنه - في صفة حجِّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ثم أهلَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتوحيد: لبَّيك اللهم لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك"؛ رواه أبو داود.

فأخلِصوا دينكم لله، وتفقَّدوا أعمالَكم ومقاصِدَكم.

وفي مناسِك الحجِّ تربيةٌ على إفراد الله بالدعاء والسؤال والطلب، مع التوكُّل عليه واللجُوءِ إليه، والاستغناء عن الخلق والاعتماد على الخالق: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [الجن: ١٨]، لا نبيًّا ولا وليًّا، ولا مكانًا ولا رسمًا.

كما لا يجوزُ أن يُحوَّلَ الحجُّ إلى ما يُنافِي مقاصِدَه، فلا دعوةَ إلا إلى الله وحده، ولا شِعارَ إلا شِعارُ التوحيد والسنة.

أيها المسلمون:

والحجُّ عبادةٌ فريدةٌ تجمعُ ملايين البشر المُتدفِّقين لأداء النُسُك شوقًا، التاركين لدنياهُم طوعًا؛ فأيُّ مشهدٍ أبهى من هذا التجمُّع الإيماني العظيم، فيه اجتماعُ الأمة وائتلافُها، وتظهَرُ قِيَمُها وأخلاقُها، فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ [البقرة: ١٩٧].

قِيَم التسامُح والإخاء والبُعد عن الخلاف والمِراء، قِيَمُ المُساواة والعدل والأُخُوَّة والمحبة، قِيَمُ القناعة والبَساطة في تجرُّد الحاجِّ من متاع الدنيا في لِباسِه ومسكنه ومنامه، يتربَّى على ترك الترفُّه، ويتحمَّلُ المشقَّة والتضحية.

من الحجِّ نستلهِمُ المُراجعات السُّلُوكية لكثيرٍ من القِيَم والأخلاق.

حُجَّاج بيت الله العتيق:

الحجُّ جهادٌ، ولا بدَّ في الجهاد من مشقَّة، وتركُ الترفُّه مقصودٌ، وعلى الحاجِّ أن يصبِرَ ويحتسِبَ في إتمام حجِّه كما أمر الله آخِذًا نُسُكَه من رسول الله.

ومن الخُذلان أن يتتَبَّعَ الإنسانُ الرُّخَص ويزهَدَ في السنن، ويرجِعَ بحجٍّ مُشوَّه، ويتنازَل عن كمال النُّسُك، ولا يتنازَلُ عن نقص الخدمات في الطعام والشراب والسَكَن، والله تعالى يقول: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ [البقرة: ١٩٦]، اجعلوا هذه الآيةَ شِعارَكم.

حُجَّاج بيت الله الحرام:

تعلَّموا أحكامَ مناسِكِكم، واسألوا عن عباداتكم، وتحرَّوا صحةَ أعمالكم قبل إتيانِها، تفرَّغوا لما جِئتُم لأجله، واشتغِلوا بالعبادة والطاعات؛ فإن ما عند الله لا يُنالُ بالتفريط.

أكثِروا من الدعاء والتضرُّع، والهَجوا بذكر الله في كل أحوالكم؛ فنبيُّكم - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إنما جُعِل الطوافُ بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»؛ رواه أبو داود، والترمذي.

وربُّكم تعالى يقول: فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا

مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا [البقرة: ١٩٨ - ٢٠٠].

حُجَّاج بيت الله الحرام:

تبذُلُ الدولةُ برجالاتها وأجهزتها ومُؤسَّساتها الحُكومية وغير الحُكُومية جهودًا هائلةً لِخدمتكم وتيسير حجِّكم، والنظامُ وُضِعَ لمصلحتكم، والجهودُ كلُّها لأجلكم، فالتزِموا التوجيهات، واتَّبِعوا التعليمات، وابتعِدوا عن مواطن الزحام، وتعاوَنوا مع رجال الأمن والأجهزة الحكومية.

لا تُغلِقوا الطرقات، ولا تجلِسوا في الممرات، واستشعِروا ما أنتم فيه، وكونوا على خير حالٍ في السُلُوك والأخلاق، والزَموا السكينةَ والوَقار، واجتهِدوا وسدِّدوا وقارِبوا، وأبشِروا وأمِّلوا؛ فإنكم تقدُمون غدًا على ربٍّ كريمٍ.

تمنَّ على ذي العرشِ ما شئتَ إنه
جوادٌ كريمٌ لا يُخيِّبُ سائلاً

تقبَّلَ الله حجَّكم، وأعانكم على تمام النُّسُك، وأحاطكم بحفظِه ورعايته.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغُرِّ الميامين، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين، والخلفاء الراشدين، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين، ومن سار على نهجهم واتبع سنَّتهم يا رب العالمين.

***

فوائد وحقوق

خطبة النبي ﷺ يوم عرفة

فضيلة الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صل الله عليه وعلى آله وسلّم .

أما بعد:

إن من خطب النبي ﷺ في الحج خطبته يوم عرفة، وذلك فيما رواه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي وصف فيه حجة النبي ﷺ من خروجه من المدينة إلى أن رجع إليها، وهو حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، وهو مخرج في صحيح الإمام مسلم رحمه الله.

– قال جابر رضي الله عنه في سياق هذا الحديث : حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال:

«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهر كم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك

فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد » ثلاث مرات، ثم أذن، ثم أقام، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر .

وهي خطبة عظيمة تضمنت أصولا عظيمة، وقواعد جليلة، وآداباً كريمة.

– قال العلامة ابن القيم رحمه الله في وصف هذه الخطبة وبيان مضامينها إجمالا : « فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قرر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها، وهي الدماء والأموال والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه، ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله، وأوصاهم بالنساء خيراً، وذكر الحق الذي لهن والذي عليهن، وأن الواجب لهن الرزق والكسوة بالمعروف، ولم يقدر ذلك بتقدير، وأباح للأزواج ضربهن إذا أدخلن إلى بيوتهن من يكرهه أزواجهن، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله، وأخبر أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به، ثم أخبرهم أنهم مسؤولون عنه، واستنطقهم: بماذا يقولون وبماذا يشهدون، فقالوا: «نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت »، فرفع أصبعه إلى السماء، واستشهد الله عليهم ثلاث مرات، وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم» (١). اهـ كلامه.

وقد تضمنت هذه الخطبة جملا مهمة من أمور الدين وآدابه، وهي كما يلي – على ضوء ترتيبها في الحديث –:

الأولى: تحريم دماء المسلمين وأموالهم، وأكد ذلك عليه الصلاة والسلام تأكيداً بالغاً : «إن دماءكم

(١) زاد المعاد: ٢/ ٢٣٣

وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا »

وكلهم يدرك حرمة بلد الله الحرام، وتضاعف هذه الحرمة في اليوم الحرام وفي الشهر الحرام. فحرمة دم المسلم وماله شديدة كحرمة بلد الله الحرام في اليوم الحرام وفي الشهر الحرام ، فما أعظمها حرمة.

الثانية : وضع كل شيء من أمر الجاهلية وإبطاله :

« ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله »، ففي هذه الجملة إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها، وقوله: « تحت قدمي موضوع » إشارة إلى إبطاله. وقوله في الربا إنه موضوع كله، المراد بالوضع الرد والإبطال.

الثالثة : الوصية بالنساء والحث على الإحسان إليهن :

«فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ». وهذه الجملة فيها مراعاة حق النساء، والوصية بهن ومعاشرتهن بالمعروف، وقد جاء في هذا المعنى أحاديث كثيرة في الوصية بالنساء وبيان حقوقهن والتحذير من التقصير في ذلك.

الرابعة : الوصية بكتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله »

والقرآن كتاب هداية، جعله الله مرشدا للعباد إلى كل طريق نافع وسبيل

قويم ، يفرقون به بين الحق والباطل والهدى والضلال والخير والشر، فمن تمسك به هدي ومن اعتصم به لم يضل ومن اتبعه لا يشقى، وإنما اقتصر على الكتاب لأنه مشتمل على العمل بالسنة ، فمن لم يعمل بالسنة لم يعمل بالكتاب ، وكذلك في قوله : «وأنتم تسألون عني» دلالة على العمل بالسنة.

الخامسة: إخبارهم بأنهم مسؤولون عنه ﷺ واستنطاقهم بماذا يجيبون « وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : «اللهم اشهد ، اللهم اشهد ثلاث مرات»، وقوله: « وأنتم تسألون عني » أي : عن تبليغي للرسالة، وقوله : «فما أنتم قائلون » أي: في حقي، وقولهم « قد بلغت » أي: الرسالة، «وأديت » أي: الأمانة، « ونصحت » أي: الأمة، وقوله اللهم اشهد » أي : على عبادك بأنهم قد أقروا بأني قد بلغت، وكفى بك شهيداً.

- إبطال أمور الجاهلية

تقدم ذكر ألفاظ خطبة الوداع، تلك الخطبة العظيمة التي ألقاها النبي الكريم والناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه على مسامع الصحابة الكرام رضي الله عنهم في يوم عرفة المبارك، وتقدم أيضاً الإشارة إلى مكانة هذه الخطبة وأهميتها، وبيان مضامينها إجمالا، وكان مما قرر فيها ﷺ وضع كل شيء من أمر الجاهلية من الضلال والانحراف والخروج عن الملة الحنيفية السمحة. بقول ﷺ : «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ؛ ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه كله موضوع»

وهذا فيه بيان للحال البئيسة، والفساد الريض الذي كان عليه الناس قبل الإسلام في عباداتهم وتعاملاتهم ؛

دماء تراق ، وأموال تنتهب، وأعراض تنتهك ، حيث بلغ فيهم الجهل مبلغه والضلال غايته ، فنالوا بذلك مقت الله عز وجل وسخطه.

روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه سبلة أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. »

فانظر إلى هذه الحال التي التبس فيها الدين على أهل الأرض، وخيم الجهل والضلال، ونزعت الرحمة، وشاع الظلم والعدوان، حتى جاء الله بالإسلام لينقذ البشرية وليشيع الخير ويشع الضياء.

نعم، جاء الإسلام بالعلم والنور، والخير والهداية، والصلاح والرفعة، وهدم سفه الجاهلية وغيها، وضلالها وانحرافها، وظلمها وظلامها، فخرج الناس بدعوته وضيائه من الكفر إلى الإيمان، ومن الغي إلى الرشد، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠-١١]

***

عبادات ودروس

دروس من الحج

عبد الرحمن بن صالح المحمود

الحج مدرسة ربانية عظيمة، فيها يتذكر المسلم العرض الأكبر على الله تعالى، يوم يتجرد العبد من كل شيء، ويقدم على الله بعمله، وفيها تسكب العبرات، وتقال العثرات، وتراق المهج، وتخشع النفوس، وتنكس الرءوس.

وفيها يتربى المسلم على إنفاق المال، وبذل الغالي والنفيس للهجرة إلى الله وترك حطام الدنيا وراءه ظهرياً.

وفيها من العبر والدروس ما لا يحصره إلا العليم العلام، فله الحمد على ما شرع وسن من الأحكام.

الحج رحلة إلى الله وذكرى بيوم القيامة

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [الحج:١ - ٧].

هذه الآيات هي مفتتح سورة الحج، والحج رحلة إلى الله تعالى يرحلها العباد مستجيبين لنداء العبودية لله الواحد القهار، قال تعالى: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [البقرة:١٩٦]، وإذا كانت الصلاة والزكاة والصيام عبادة فإن الحج يتميز عنها بأنه عبادة يترك من أجلها العبد البلاد والأولاد والأحباب والضيعات والأموال، ويقطع المسافات الشاسعة التي قد تمتد آلاف الأميال.

إن الحج رحلة وهجرة إلى الله تبارك وتعالى، وتجرد الحاج من المخيط، ووقوف الألوف في عرفات محرمين بأرديتهم البيض من أعظم ما يذكر العباد بيوم القيامة والخروج من هذه الدنيا، ليكون هناك الحساب والجزاء بين يدي حكم عدل لا يظلم عنده أحد {وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:٤٧].

وهذا هو المعنى الذي يربط بين افتتاح سورة الحج بالأمر بتقوى الله تعالى وتذكر زلزلة الساعة العظيمة وبين معنىً من معاني الحج الكبار كان يدركه سلفنا الصالح، أما نحن اليوم فقد صار حج كثير منا نزهة قصيرة، نطارد من خلالها الزمن لنعود إلى ما كنا عليه من لهو وعبث وغفلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحج تذكار بالجهاد في سبيل الله

بعد آيات الحج في سورة الحج، وبيان مناسكه وفضله، وتعظيم شعائر الله تعالى، يقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} [الحج:٣٨ - ٤٠].

إن الحج يذكر هذه الأمة بالجهاد ويعلمها إياه من خلال عدد من الأمور:

أولها: مشقة السفر إلى مكة، فهو شبيه بسفر المجاهدين في سبيل الله تعالى، وإن الرجل ليودع أهله وهو لا يدري هل يرجع إليهم أم لا، خاصة إذا كان من بلاد نائية.

ثانيها: السكن في المشاعر، إذا نظرت

إليه وجدته شبيهاً بمعسكرات المجاهدين.

ثالثها: تنقل وتحرك الحجاج من مكة ومن كل صوب إلى منى، ثم من منى إلى عرفات، ثم من عرفات إلى المزدلفة، ثم إلى منى مرة أخرى، في أوقات محددة منضبطة، وكأنها تنقلات جيوش مجاهدة في سبيل الله تعالى.

رابعها: في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى عن سفر المرأة بدون محرم، قام رجل فقال: يا رسول الله! إن امرأتي خرجت حاجة، وإنني اكتتبت في غزوة كذا.

فقال صلى الله عليه وسلم: (اذهب وحج مع امرأتك)، فنقله صلى الله عليه وسلم من جهاد إلى جهاد.

خامسها: سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج والعمرة جهاداً بالنسبة للنساء، فقال لما سألنه عن الجهاد ولماذا كتب على الرجال فقط؟ قال عليه الصلاة والسلام: (عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة).

سادسها: الرجل الذي وقصته دابته فسقط منها فمات وهو محرم، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تغطية رأسه عند تكفينه ودفنه وقال: (إنه يبعث يوم القيامة محرماً ملبياً).

وكذا المجاهد في سبيل الله إذا مات في المعركة فإنه يكفن بأثوابه التي قتل فيها.

إن الحج مدرسة تعلم المؤمنين وتعلم الأمة كلها كيف تنقل نفسها من عاداتها المألوفة، ومن ترفها، ومن دنياها، ومن مناصبها، ومن جاهها، وتنخلع من ذلك كله.

الحج مدرسة لتوحيد الله وطاعته

أيها الأخ الحبيب! إن من دروس الحج الكبار، أحدهما: نقلة إلى الدار الآخرة، وذكرى بيوم القيامة، واستعداد ورحيل، استعداد ورحيل إلى الله سبحانه وتعالى بالجهاد في سبيل الله؛ لأن المجاهد باع نفسه لله: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} [التوبة:١١١]، فالمجاهدون باعوا أنفسهم لربهم تبارك وتعالى.

ونقف الآن مع درس درس يعلم المؤمنين أن هذا الحج مدرسة لأمة محمد

صلى الله عليه وسلم في صفاء العقيدة وسلامتها وخلوصها من الشرك بالله تبارك وتعالى.

إن إبراهيم عليه السلام الذي بنى هذا البيت هو الذي دعا إلى الملة الحنيفية القائمة على إخلاص التوحيد لله والبراءة من الشرك وأهله، كما قال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج:٢٦]، فالحج مدرسة ترجع كل مسلم إلى الأصل العقدي الواجب الذي لا يجوز أن نفرط فيه، وهو التوحيد الخالص لله والبراءة من الشرك.

وينبثق من هذا التوحيد الطاعة لله تبارك وتعالى فيما أحب الإنسان أو كره، وسواء رضي عنه الآخرون أو لم يرضوا.

فهذا إبراهيم يترك ولده الرضيع إسماعيل وأمه هاجر -وقد أنزلهما مكة قبل عمارتها وقبل بناء البيت- يتركهما بلا ماء ولا زاد، ويذهب لأمر الله تبارك وتعالى، وتلحق به هاجر وتصيح به: كيف تتركنا هاهنا؟ وهو لا يلتفت إليها، ولكنها المرأة المؤمنة عرفت السر فقالت: آلله أمرك بهذا يا إبراهيم؟ فأشار إليها أن: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا الله.

إنه الامتثال لأمر الله من إبراهيم وزوجه، ولم يضيعهم الله، تفجرت مياه زمزم تحت أقدام الرضيع بعد سعي أمه بين جبلي الصفا والمروة لتكون سنةً وشريعةً إلى يوم القيامة.

ولما بلغ إسماعيل السعي مع أبيه وصار بحيث تتعلق نفس الوالد به أشد التعلق أمره الله بأمر عظيم: أن يذبح ولده، فاستجاب الوالد دون تردد، واستجاب الولد وقال: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات:١٠٢]، وأسلما لربهما {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات:١٠٣]، ووقع الامتثال الكامل، ولكن رحمة الله كانت قريبة، ففداه الله بذبح عظيم، فصارت الأضحية سنة إلى يوم القيامة.

الحج انسلاخ من عادات الجاهلية

والحج انسلاخ من عادات الجاهلية

وما أحدثوه في الحج خاصة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب مخالفة المشركين مع أنهم أهله وقومه وعشيرته وبلاده، ولكنه لم يكن متلوثاً بما تلوث به بعضنا في هذه الأيام من القوميات الجاهلية.

أحرم صلى الله عليه وسلم بالعمرة في أشهر الحج مخالفة للمشركين، ووقف مع الناس في عرفات مخالفة لقريش التي كانت تتكبر على الناس وتزعم أنها أهل الحرم، فكانوا لا يتجاوزون الحرم، ويقفون بالمزدلفة يوم عرفة، وأفاض من عرفات بعد الغروب خلافاً للمشركين، ليبين تميز أهل هذه الملة الحنيفية عن اليهود وعن النصارى وعن المشركين أيضاً.

أيها الأخ في الله! إن الحج مدرسة عقيدة، الأصل فيه الدين والتوحيد والصفاء لهذه العقيدة والسلامة والبعد عن الشرك بالله، ثم يأتي بعد ذلك ما هو من أعمال الخير كعمارة المسجد الحرام، ولقد عكس المشركون في مكة هذا الأمر، فكانوا ينشرون في بيت الله الحرام الشرك بالله والظلم لعباد الله المؤمنين، ثم يفتخرون بعمارة المسجد الحرام وبالسقاية والرفادة للحجاج، فقال الله تبارك وتعالى عن المشركين: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة:١٩].

اللهم! وفق الحجاج جميعاً لحج مبرور وسعي مشكور، اللهم! اجعل اجتماعهم فاتحة نصر وعز لهذه الأمة تجاه أعدائها مشرقاً ومغرباً.

اللهم! صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم واهتدى بهداهم يا رب العالمين، اللهم! اجعلنا منهم بفضلك وكرمك.

***

الفقه الإسلامي

حكم زخرفة المساجد وتزيينها

مجيب الرحمن محمد حنيف السنابلي المدني
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(الحلقة الثانية)

- **تحرير محل النزاع:**

اتفق الفقهاء من الحنفية(١)، والمالكية(٢)، والشافعية(٣)، والحنابلة (٤) على أنه لا يجوز زخرفة المسجد أو نقشه من مال الوقف، وأن الفاعل يضمن ذلك ويغرم القيمة، وذلك لأنه تضييع لمال الوقف(٥).

واختلفوا في حكم زخرفتها وتزيينها من غير مال الوقف، بجص أو ماء ذهب أو نحوهما من الأشياء الثمينة، على قولين:

- القول الأول:

لا بأس بزخرفة المسجد أو نقشه بجص أو ماء ذهب أو نحوهما من الأشياء الثمينة، ولكنه لا يؤجر عليها، وإليه ذهب الحنفية(٦).

- القول الثاني:

(١) ينظر: الهداية في شرح بداية المبتدي (١/ ٦٦) الاختيار لتعليل المختار (٤/ ١٦٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (١/ ١٦٨).

(٢) ينظر: البيان والتحصيل (١/ ٢٧٠) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (١/ ٥٥١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٣٣٠).

(٣) ينظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين (٥/ ٣٤٩) التدريب في الفقه الشافعي (٢/ ١٧٤) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٢/ ٤٧٢).

(٤) ينظر: الفروع وتصحيح الفروع (٢/ ٤٠٧) كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣٦٦) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ٢٥٥).

(٥) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب (١/ ٣٨١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (٣/ ٢٧٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٢/ ١٠٠).

(٦) ينظر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص (٨/ ٥٣٣) المبسوط للسرخسي (٣٠/ ٢٨٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٥/ ١٢٧).

يكره زخرفة المسجد بماء الذهب أو الفضة، أو النقش، أو الصبغ، أو الكتابة أو غير ذلك مما يلهي المصلي عن صلاته، وهو مذهب الجمهور من المالكية(١)، والشافعية(٢)، والحنابلة (٣).

- **أدلة القولين السابقين:**

– أدلة القول الأول:

استدلوا على ما ذهبوا إليه بما يأتي:

الدليل الأول:

ما روي أن أول من بنى مسجد بيت المقدس داود -عليه السلام-، ثم أتمه سليمان -عليه السلام- بعده، وزينه حتى نصب على القبة الكبريت الأحمر، وكان أعز وأنفس شيء وجد في ذلك الوقت، فكان يضئ من ميل، وكن الغزالات يغزلن بضوئها بالليالي من مسافة ميل.

وجه الدلالة:

أن عمل النبي سليمان -عليه السلام- يدل على جواز زخرفة المساجد وتزيينها(٤).

ويمكن أن يناقش:

أنه شرع من قبلنا، ونهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن زخرفة المساجد وتزيينها، كما سيأتي بيانها في أدلة القول الثاني.

الدليل الثاني:

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: "أن المسجد كان على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، وزاد فيه عمر: وبناه على بنيانه في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة

(١) ينظر: النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات (١/ ٢٣٠) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٧٥) التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب (١/ ٣٩٥).

(٢) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب (١/ ١٨٦) روضة الطالبين وعمدة المفتين (١/ ٢٩٧) المجموع شرح المهذب (٤/ ٩٧).

(٣) عند الحنابلة يحرم بالذهب والفضة ويكره بغيرهما، ينظر: المغني لابن قدامة (٢/ ١٧٨) الشرح الكبير على متن المقنع (١/ ٦٢٧) كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣٦٦).

(٤) ينظر: المبسوط للسرخسي (٣٠/ ٢٨٤) المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٥/ ٣١٦) البناية شرح الهداية (٢/ ٤٧١).

كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج "(١).

وجه الدلالة:

أن زخرفة المساجد وتزيينها من فعل أحد الخلفاء الراشدين -رضي الله عنه-، فدل ذلك على أنه لا بأس به(٢).

ونوقش:

أن هذا الأثر فيه دليل أيضا على أن السنة في بنيان المساجد القصد وترك الغلو في تحسينها فقد كان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة المال عنده لم يغير المسجد عما كان عليه وإنما احتاج إلى تجديده لأن جريد النخل كان قد نخر في أيامه ثم كان عثمان والمال في زمانه أكثر فحسنه بما لايقتضي الزخرفة، ومع ذلك فقد أنكر بعض الصحابة عليه، وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن مروان وذلك في أواخر عصر الصحابة وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفا من الفتنة(٣).

الدليل الثالث:

أن الرجل قد يبني لنفسه داراً وينقش سقفها بماء الذهب فلا يكون آثما في ذلك، وهذا فيما ينفقه للتزين يقصد به منفعة نفسه خاصة، وفيما ينفق على المسجد للتزين منفعته، ومنفعة غيره، فإذا جاز له أن يصرف ماله إلى منفعة نفسه بهذا الطريق فلأن يجوز صرفه إلى منفعته ومنفعة غيره كان أولى(٤).

الدليل الرابع:

أن فيه ترغيب الناس في الاعتكاف والجماعة، وفيه تعظيم بيت الله تعالى(٥).

ونوقش:

أن دعوى الترغيب إلى المسجد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٩٧)، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد، برقم (٤٤٦).

(٢) ينظر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص (٨/ ٥٣٣) المبسوط للسرخسي (٣٠/ ٢٨٤) المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٥/ ٣١٦).

(٣) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٢/ ٩٧) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٤٠).

(٤) ينظر: الكسب (ص: ١١٨) المبسوط للسرخسي (٣٠/ ٢٨٥).

(٥) ينظر: الكسب (ص: ١١٨) المبسوط للسرخسي (٣٠/ ٢٨٥) المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٥/ ٣١٦).

فاسدة؛ لأن ذلك لا يكون إلا لمن كان غرضه وغاية قصده النظرَ إلى تلك النقوش والزخرفة، فأما من كان غرضه قصدَ المسجد للعبادة التي لا تكون عبادة حقيقة إلا مع الخشوع، فليست زخرفة المسجد إلا شاغلة له(١).

- أدلة القول الثاني:

استدلوا على قولهم بما يأتي:

الدليل الأول:

حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»(٢).

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً"(٣).

وجه الدلالة:

أن الحديث يدل على كراهة زخرفة وتزويق المساجد، ففيه بيان معجزة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي المباهاة والمفاخرة، والمعنى أنهم يزخرفون المساجد ويزينونها ثم يقعددن فيها ويتمارون ويتباهون ولا يشتغلون بالذكر وقراءة القرآن والصلاة(٤).

الدليل الثاني:

حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-

---

(١) ينظر: الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (٣/ ٢٩٤) نيل الأوطار (٢/ ١٧٦).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٨٨٤)، كتاب الصلاة، باب: في تزويق المساجد، وقال محققه: "إسناده صحيح"، برقم (١٤٤٨)، وأبو داود في سننه (١/ ١٢٣)، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، برقم (٤٤٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٣٨٣)، كتاب الصلاة، المباهاة في المساجد، برقم (٧٧٠)، وفي السنن الصغرى (٢/ ٣٢)، كتاب الصلاة، المباهاة في المساجد، برقم (٦٨٩)، وابن ماجه في سننه (١/ ٢٤٤)، كتاب المساجد والجماعات، باب تشييد المساجد، برقم (٧٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٨٢)، كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن التباهي في المساجد من أشراط الساعة، برقم (١٣٢٣)، قال الأعظمي: "إسناده صحيح"، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٢٢٢)، برقم (٨٤٦٠)، وقال: "لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا حماد، تفرد به: محمد بن عبد الله الخزاعي"، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٩/ ٤١٥)، وصحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٢٣٧)، وصحيح وضعيف سنن النسائي (٢/ ٣٣٣)، وصحيح وضعيف سنن ابن ماجة (٢/ ٣١١).

(٣) أخرجه البخاري تعليقا في صحيحه (١/ ٩٧)، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد.

(٤) ينظر: فتح الباري لابن رجب (٣/ ٢٨٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٣٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٠٥).

قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما أمرت بتشييد المساجد»(١).

وجه الدلالة:

دل الحديث على أن السنة فى بنيان المساجد هي القصد، وترك الغلو فى تشييدها خشية الفتنة والمباهاة ببنائها(٢).

الدليل الثالث:

حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»(٣).

وجه الدلالة:

أنه قد وقع ما أخبر به النبي- صلى الله عليه وسلم -، فلقد تباهى الناس بزخرفة المساجد التي فيها موافقةٌ لليهود والنصارى؛ فإنهم يزينون بِيعهم وكنائسهم(٤).

الدليل الرابع:

الأثر الثابت عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: «أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس»(٥).

وجه الدلالة:

أن الخليفة الراشد لم ينه عن تشييد المساجد إلا عن علم منه عن الرسول بكراهة ذلك، فيقتدى به فى الأخذ من

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٣/ ١٥٢)، كتاب الصلاة، باب تزيين المساجد والممر في المسجد، رقم (٥١٢٧)، وأبو داود في سننه (١/ ١٢٢)، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، رقم (٤٤٨)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٤٩٣)، كتاب الصلاة، باب ذكر العلة التي من أجلها زجر عن هذا الفعل، رقم (١٦١٥)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (١/ ١٩٥) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ١٩٩) صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٧٣).

(٢) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٢/ ٩٧) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٠٣)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، رقم (٧٣٢٠).

(٤) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٧٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٠٥).

(٥) أخرجه البخاري تعليقا في صحيحه (١/ ٩٧)، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد.

الدنيا بالقصد والكفاية، والزهد فى معالي أمورها وإيثار البلغة منها(١).

الدليل الخامس:

الأثر الوارد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى»(٢).

وجه الدلالة:

أن التشبيه باليهود والنصارى في زخرفة المساجد والمباهاة بتشييدها وتزيينها نوع توبيخ وتأنيب، ودليل على ترك الزخرفة في المساجد والتأنق فيها، والإسراف(٣).

الدليل السادس:

أن زخرفة المساجد وتزنيينها يلهي الناس عن الصلاة ويشغلهم عنها، وفي تركها خشوع للمصلي وزهد في الدنيا وتذكير بالآخرة وإيثار ما عند الله والباقيات الصالحات على الدنيا(٤).

- **بيان الراجح في المسألة:**

يترجح في هذه المسألة قول الجمهور بكراهة الزخرفة والتزيين الملهي عن الصلاة، فليس هنالك داعٍ للزخارف الفخمة والثريات الباهظة الثمن والقباب المذهبة والمآذن الطويلة، بل ينبغي أن يكون المسجد في غاية البساطة مع الاتساع وتوفر المرافق المريحة للمصلين كالحمامات النظيفة ووسائل التبريد والتدفئة والإضاءة الجيدة وغير ذلك.

وذلك لما يلي:

أولاً: أنه لم يكن من عمل النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا أصحابِه، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يؤمر بذلك، ولم يعلمه أصحابه -رضي الله عنهم-.

ثانياً: أن ذلك من عمل المغضوب عليهم والضَّالين: اليهود والنصارى

(١) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٢/ ٩٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري تعليقا في صحيحه (١/ ٩٧)، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد.

(٣) ينظر: معالم السنن (١/ ١٤٠) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ١٢٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٤٠).

(٤) ينظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام (٢/ ٤١٣) نيل الأوطار (٢/ ١٧٥) بذل المجهود في حل سنن أبي داود (٣/ ١٥٧).

الذين يعتنون بِزخرفة بِيَعهم وكنائِسهم وتشييدها.

ثالثا: أنّ ذلك من عمل الجاهلين الذين يحرصون على الظّاهر ويُهملون الباطن، فكم من يحرص على زخرفة المسجد وهو لا يصلّي في المسجد، والمهمّ عنده أن يكون مسجد حيِّه أجمل من مساجد غيرِه.

رابعا: أن في زخرفة المساجد وتزيينها إسرافا في المال بصرفه فيما لا فائدة فيه.

خامسا: أن هذه الزخرفة تلهي وتشغل قلوب المصلين عن الخشوع الذي هو روح الصلاة، بالنظر إليها، وفيها أيضا شغل للذاكرين في المسجد.

قال الإمام النووي -رحمه الله-: "يكره زخرفة المسجد ونقشه وتزيينه للأحاديث المشهورة، ولئلا تشغل قلب المصلي"(١).

وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-: "إن الخير فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولو بقيت المساجد على ما كانت عليه في عصر النبوة لكان خيرًا، وأما زخرفة المساجد وتزيينها فقد ورد النهي عنهما"(٢).

وقد سئلت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز-رحمه الله- عن زخرفة المساجد وكتابة الآيات على جدرانها فأجابت:

"لا يجوز زخرفة المساجد، ولا كتابة الآيات القرآنية على جدرانها، لما في ذلك من تعريض القرآن للامتهان، ولما فيه من زخرفة المساجد المنهي عنها، وإشغال المصلين عن صلاتهم بالنظر في تلك الكتابات والنقوش"(٣).

وأجابت أيضا: "هذا العمل غير مشروع؛ للأحاديث الصحيحة في النهي عن زخرفة المساجد، ولأن في ذلك إشغالا للمصلين عن صلاتهم بالنظر والتفكر في تلك الزخارف والنقوش" (٤).

***

(١) المجموع شرح المهذب (٢/ ١٨٠).

(٢) مجموعة رسائل علمية (ص: ٢٥).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٥/ ١٩٠).

(٤) المصدر السابق (٥/ ١٩١).

الولاء والبراء

أفغير دين الله يبغون؟

عمر بن محمد شفيق

إن الإسلام رسالة عالمية، متضمنة لجميع مصالح العباد ومنافعهم، بعث الله بها خاتم رسله وآخر أنبيائه، وأنزل عليه كتابه الكريم، ليكون مصدر هداية ورشاد للعالمين، فمن ضل بعده فقد ضل عن هوى، ومن اهتدى به فقد سلك درب الفائزين.

جاءت الشريعة الإسلامية الخالدة لتكون ناسخة لما قبلها من الشرائع ومهيمنة عليها، ولتكون هي الشريعة الوحيدة التي ينجو ناهجها ويفوز سالكها.

جذبت هذه الشريعة نفوس الناس إليها بمكارمها ومناقبها، وسحرت عيونهم بمحاسنها ومحامدها، فشق ذلك على أهل الكفر والإلحاد في كل زمان ومكان، وأوقعهم ذلك في ضيق وحرج، فصاروا يتيهون تيه الواله الحيران، لا يألون جهدا في محاربتها والقضاء عليها، فهم سائرون في سبيل باطلهم سير المُجد، لكن الله مخيب آمالهم ومضيع جهودهم.

ومن تلك الجهود -الضائعة بإذن الله- التي يقوم بها أعداء الإسلام لصد المسلمين عن دينهم، ومحاولة صرفهم عن ثوابتهم وأصولهم: نشر فكرة الأديان الإبراهيمية، وتعدد الطرق الموصلة إلى الله وإلى جنته، يحاولون بذلك الخلط بين الدين الحق والأديان المحرفة، ويريدون جمع المتناقضات في مكان واحد، وتحت مظلة واحدة، ويسعون لنشر الجاهلية بين المسلمين بعد الإسلام.

وقد وقع في مصيدتهم كثير من بني جلدتنا، ممن يصلى إلى قبلتنا وينتسب إلى ديننا، فأصبحوا ينافحون عن هذه الفكرة الباطلة، بل ويروجون لها ويرأسون مشاريعها، والله المستعان.

إنهم بفعلهم هذا يسوون بين المسلم والكافر، وبين التقي والفاجر، ﴿أَفَنَجْعَلُ

ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، ومن كان الناس عنده سواء فليس لعلته دواء.

وقد عرف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله هذه الفكرة بأنها (فلسفية النزعة، سياسية النشأة، إلحادية الغاية) ثم وضح هدفها قائلا أنها (تبرز في لباس جديد لأخذ ثأرهم من المسلمين: عقيدة، وأرضا، وملكا). [الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ص٣٧].

إن أصحاب هذه الفكرة الباطلة يسعون لترويج باطلهم بمصطلحات خداعة كالتسامح والتعايش، ويحرفون ديننا باسم الإنسانية والإبراهيمية، وما هي في الحقيقة إلا ضلال وجهالة، ظاهره فيه الرحمة والألفة، وباطنه الكفر المحض.

وليتهم توقفوا إلى هذا الحد، واكتفوا بالترويج فقط، لكن الأمر لم ينتهى إلى هنا، بل تجاوزه إلى حد بعيد، فقد قُرِّظ الكفر في الكتاتيب، وأصبح أبنائنا وبناتنا يتلقون هذه العقائد الفاسدة من خلال المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، فيا للأسف!

على الدين فليبكي ذوو العلم والهدى
فقد طمست أعلامه في العوالم

لقد أصبحت عقيدة الولاء والبراء – التي هي أوثق عرى الإيمان– غصة في حلوق الأعداء، يبذلون قصارى جهودهم في مسخها ومحوها من نفوس المؤمنين، وصارت الأخوة الإيمانية حاجزة دون مقاصدهم، فأرادوا استبدالها بأنواع من الأخوات التي لا تمت للإسلام بصلة.

فيجب على المسلمين عموما وعلى أولي الأمر والعلم خصوصا الوعي بكيد الأعداء، والتفطن لمكرهم، فإنهم لما أعيتهم الحيل للنيل من الإسلام والمسلمين بالسيف والقوة، وبالحجة والبرهان، سلكوا طريق النفاق والتقية لدس السموم بين المسلمين، وطمس معالم عقيدتهم، واستبدال القيم الإسلامية بالقيم الإلحادية.

فحذار يا أخي –ثبتك الله– من أن يصيبك سهم من سهامهم، أو أن يغرك بريق ألفاظهم، فليس هو إلا لبس للحق بالباطل، ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٤٢] ، قال قتادة رحمه الله: "لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، إن دين الله الإسلام، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله". [تفسير ابن أبي حاتم ٩٨/ ١]

إن هذه الإبراهيمية المزعومة تسعى لدمج الأديان الثلاثة، وتذويب الفروق بينها، والدعوة إلى التآلف والتآخي بين متبعيها، خوفا من انتشار الإسلام وشيوعه، وطمسا لعقيدة الولاء والبراء، ومحاولة لإطفاء نور الله عز وجل ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وليست الدعوة إلى الإبراهيمية بدعا من القول، بل هي دعوى قديمة، لكنها لم تأخذ حظها من الانتشار إلا في هذا الزمان لأسباب لا تخفى على أحد، فقد طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكف عن عيب شعائرهم وتسفيه عقولهم وعقول آبائهم، وأن يأتي بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة، فقالوا (ائتِ بِقُرآنٍ غَيرِ هذا أَو بَدِّلهُ)، فأمر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم بقوله ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥] ، ويريد مشركوا اليوم منا أن نكف عن تكفير الكفار، وأن نحترم كفرهم، وما أشبه الليلة بالبارحة.

وقد أجمع المسلمون على أن اليهود والنصارى وجميع من دان بغير الإسلام كفار، وأن من لم يكفرهم، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر أيضا.

قال ابن حزم رحمه الله: "واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارا". [مراتب الإجماع ص١١٩].

وقال النووي رحمه الله: "من لم يكفر من دان بغير الإسلام كالنصارى، أو شك في تكفيرهم، أو صحح مذهبهم، فهو كافر، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده". [روضة الطالبين ٧٠/ ١٠].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "ولا خلاف بين المسلمين أن من لم يؤمن بمحمد ﷺ بعد بلوغ رسالته إليه أنه كافر

مخلد في النار، ومن ارتاب في ذلك فهو كافر يجب قتله". [المستدرك على مجموع الفتاوى ٨٧/ ١].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته الشهيرة "نواقض الإسلام": "من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر".

وقد استدل العلماء على كفر هؤلاء بالكتاب والسنة، والنصوص في ذلك متكاثرة، فتارة يذكر الله تعالى أن الدين المقبول عنده هو الإسلام، وأن ما عداه غير مقبول، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

وتارة يخاطب أهل الكتاب وينكر عليهم اختيارهم لغير دين الحق فيقول: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وتارة يصرح الله تعالى بكفر أهل الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] ، وقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] .

وتارة ينكر عليهم انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام، وينفي كونه يهوديا أو نصرانيا: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨].

وتارة يذكر الله سبحانه وتعالى حال إبراهيم عليه السلام مع قومه وعشيرته المشركين، ويفصل موقفه في الولاء

والبراء، ﴿ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] .

والسنة النبوية صريحة أيضا في بيان عاقبة الكفار ومصيرهم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار". [أخرجه مسلم (١٥٣)].

أما ما يتبجح به بعض أهل الجهل والضلال من الاستدلال بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. على أن اليهود والنصارى على هداية، وأنهم ناجون من عذاب الله؛ فهذا جهل ومكابرة، لأنه ليس المقصود من الآية ما ادعوه، بل هي فيمن مات قبل البعثة المحمدية مؤمنا بنبيه، لأن الله جعل وعلا نسخ الشرائع كلها بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وجعلها مهيمنة عليها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، فالإسلام ناسخ، وما سواه منسوخ به، وهو الطريق الوحيد المنجي من عذاب الله.

قال ابن تيمية رحمه الله: "قول القائل: المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن إما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصلة إلى الله؛ وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله، أو التدين بذلك، أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالقرآن

وبالإسلام بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك". [مجموع الفتاوى ٣٢٣/ ٢٥]

وكفى بمثل هذا القول قبحا أنه يلزم منه أن تكون الدعوة إلى الإسلام عبثا، فما الفائدة من الدعوة إذا كان اليهود والنصارى من الناجين، بل ما هي الأسباب التي دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، مع ما في ذلك من تعرض نفوس المؤمنين وأموالهم للخطر الشديد، أكان ذلك كله سدى؟ ولا يمكن أن يكون ثمة سبب لهذه الحروب على قول هذا القائل إلا الملك والمال، والعياذ بالله.

ومن مفاسد هذا القول أيضا أنه متضمن للغش والخديعة بغير المسلمين، إذ أنهم إذا اعتقدوا صحة ما هم عليهم، وصدقهم بعض من ينتسب إلى الإسلام في دعواهم، غرهم ذلك، وصدهم عن معرفة الحق وقبوله.

وسماحة تقتضي أن ندعوهم إلى الإسلام، ونعرفهم به، ونريد بهم الخير، وهذا من أعظم حقوقهم علينا.

وسماحة الإسلام لا تعني أبدا التنازل عن المسلمات والثوابت، وقبول الأديان الباطلة والمحرفة، بل ذلك من المداهنة المذمومة.

إن الأمة اليوم بحاجة إلى رجال مخلصين يذودون عن حوضها ويحمون حماها، ويدافعون عن القيم الإسلامية، ويقدمون الإسلام بصورته الحقيقية التي جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف أو تبديل، لا يخافون في الله لومة لائم.

وليكن شعارنا في مجادلة أهل الكتاب هذه الآية ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

***

الأخلاق والمعاملات

أثر التعايش السلمي على الفرد وا لمجتمع

عبد المنان محمد شفيق المكي
مدرس جامعة أم القرى، مكة المكرمة (سابقا)

الحَمْدُ للهَّ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَنْعَمَ، وَشَرَّفَ بَنِي آَدَمَ وَكَرَّمَ، وَوَهَبَ لَهُمُ العَقْلَ لِيَعْقِلُوا عَنْهُ مَا أَبَاحَ وَحَرَّمَ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ الأَعْظَمِ، وأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَتْقَنَهُ وَأَحْكَمَ، وأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، المَبْعُوثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً بِالدِّينِ الأَقْوَمِ وَالمَنْهَجِ الأَسْلَمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آَلِهِ وَأَصْحَابِهِ بِعَدَدِ ذَوِي العِلْمِ وَالهِمَمِ(١).والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين الأعظم، وبعد:

إن التعايش السلمي في المجتمع المسلم مع الآخرين – مسلمين كانوا أو غير مسلمين–حكمة الهيه، وعبادة ربانية وسنة نبوية وضرورة بشرية وحاجة إنسانية وأخلاقية(٢) تفرضها الظروف والأحوال العالمية والدولية، وهو من صميم جوهر الدين الإسلامي، وحقيقة راسخة، وله آثار إيجابيه، ومكتسبات حضارية، ولا شك أن الثقافة والحضارة الإسلاميتين منفتحتان على حضارات الأمم، ومتجاوبتان مع ثقافات الشعوب الأخرى، وهما مؤثرتان ومتأثرتان، ومبدأ عالمية الإسلام هو الأساس الثابت الذي تقوم عليه علاقة المسلم مع أهل الأديان السماوية(٣).

والتعايش السلمي له جوانب عديدة

(١) الكمالي:أهمية التعايش السلمي.

(٢) الكمالي: أهمية التعايش السلمي وجميل عودة: صيانة الحقوق من .....

(٣) تعايش سلمي من ويكيبيديا.

وتعاريف مختلفة، وله حدوده وضوابطه، ولقد اختلفت آراء العلماء حول جواز بعض صوره وأشكاله، والتَّعَايُشُ السِّلْمِيُّ عامة : تَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ خَلْقُ جَوٍمِنَ التَّفَاهُمِ بَيْنَ الشُّعُوبِ المختلفة بَعِيدًا عَنِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ عَلَى الرَّغْمِ مِنِ اخْتِلاَفِهِمُ الدِّينِيِّ وَالْمَذْهَبِيِّ(١).

ولكن مما لا شك فيه أن التعايش السلمي فوائده كثيرة، ومنافعه جمة، ومصالحه عديدة، وأواصره كثيرة، وسبله وفيرة، وآثاره على الفرد والمجتمع ظاهرة بينة لا تعد ولا تحصى، من دينية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وحضارية وثقافية وغيرها، ولا يتسع المقام هنا لتناولها جميعا ولذا يقتصر على ذكر الأهم منها فقط، وهي كما يلي:

١- **الأمن والأمان**: ولاريب أن التعايش السلمي سبب بالغ الأهمية من أسباب حصول الأمن والأمان بين الأفراد والمجتمعات، والدول والبلدان والأمم والشعوب، ومن المتعذر حصوله بدونه.

ولا يخفى علينا أن الأمن والأمان نعمة عظيمة من نعم الله على البشرية، بل ومن أعظم النعم بعد الإيمان بالله عز وجل نعمة الأمن(٢) وامتن الله في القرآن على عباده بهذه النعمة:

فقال تعالى: "أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ (القصص:٥٧) وقال سبحانه: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ" (العنكبوت: ٦٧) وقال: وَإِذْ جَعَلْنَاالْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً"(البقرة/ ١٢٥)كما امتن الله بهذه النعمة على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: "وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (الأنفال/ ٢٦)(٣).

---

(١) المعاني: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-.

(٢)الجسمي: نعمة الامن والامان.

(٣) مهران: نعمة الامن.

وجعل الله سبحانه وتعالى الأمن مقرونًا بالإيمان.. فقال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأنعام/ ٨٢) (١).

ونعمة الأمن أعظم من نعمة الرزق لذلك قدمت نعمة الأمن على نعمة الرزق في الآية الكريمة {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (البقرة/ ١٢٦) (٢).

وإن الدنيا تجتمع للعبد في ثلاثة أشياء... منها نعمة الأمن، فإن حاز هذه الثلاثة فقد حاز الدنيا بما فيها، فقال صلى الله عليه وسلم (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) (٣).

يقولُ أحدُ الحُكماء: (الأمنُ أهنأُ عيش، والعدلُ أقوَى جيشٍ).

ويقول آخر: (الأمنُ يُذهِبُ وحشةَ الوحدة، كما أن الخوفَ يُذهِبُ أُنسَ الجماعة).

وآخر يقول: (الأمنُ مع الفقر خيرٌ من الخوف مع الغِنَى) (٤).

فالأمن عكس الخوف، الأمن طمأنينة القلب وسكينته وراحته، والحياة لا تزدهر وتتطور من دون الأمن، فكيف يحلو العيش إذا انعدم الأمن، فمعه تنبسط الآمال وتطمئن النفوس، فإذا شاع الأمن تعددت أنشطة البشر وزاد عليهم رزق ربهم ويفتح عليهم أبوابه. فلا يطيب طعام ولا يُنتفع بنعمة رزق إذا فُقد الأمن(٥)، حتى العبادة لا يتأتى القيام بها على وجهها إلا في ظل الأمن(٦).

والأمن مطلب أكثر الناس بل هو مطلب العالم بأسره، فكيف يعيش المرء

(١) السويدان: من فوائد الأمن والاستقرار..
(٢) مهران: نعمة الأمن والجسمي: نعمة الأمن والأمان.
(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع.
(٤) السويدان: من فوائد الأمن والاستقرار..
(٥) الجسمي: نعمة الامن والامان.
(٦) مهران: نعمة الأمن.

في حالة لا يؤمن فيها على نفسه، فلا تتحقق أهم مطالب الحياة إلا بتوافر الأمن(١) ويعد الأمن من أهم مطالب الحياة، بل لا تتحقق أهم مطالبها إلا بتوفره؛ حيث يعد ضرورة لكل جهد بشري، فردي أو جماعي؛ لتحقيق المصالح العامة للجميع(٢).

يمثِّل الأمن أحد المُقوِّمات الأساسيّة لنجاح عمليّة التنمية، والنموّ، والارتقاء بمُختلف المجالات؛ حيث يُعَدُّ الإبداع الفكريّ، والذهنيّ، والتخطيط المُنظَّم، والسليم، والمُثابرة العلميّة، من أهمّ مُرتكَزات التنمية، ولا يتحقَّق الازدهار لمشروع التنمية إلّا في ظلّ وجود أمن راسخ يدعم، ويتيح وجود هذه المُرتكَزات، ممَّا يُمكّن الإنسان من الاطمئنان على ذاته، وثروته، واستثماراته.

يُعتبَر الأمن غاية أساسيّة للعدل؛ فالحُكم بالعدل، والشَّرع، من شأنه تحقيق الأمن في الحياة، أمَّا عدم إقامته فيُؤدّي إلى غياب الأمن. يضمن تحقيق الأمن الداخليّ، وترسيخه في أيّ مجتمع استعادة أمنه الخارجيّ إن فُقِد بصفة عارضة، أو مُؤقَّتة (٣).

ولكن مع ذلك للأسف التاريخ الإنساني يدل على أن تحقيق الأمن للأفراد والجماعات الإنسانية، كان هدفًا وغاية بعيدة المنال، وفي فترات طويلة من التاريخ، وأن الأمن لم ينبسط على الناس في المعمورة إلا خلال فترات قليلة(٤)، قليلة(٤)، ولا طريق إلى هذا إلا بالتعايش بالتعايش السلمي.

ويتبين مما مضى أنَّ التَّعَايُشَ السِّلْمِيَّ ضَرُورَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِأَيِّ مُجْتَمَعٍ يُرِيدُ الامن والسلامة، وَلِأَيِّ بَلَدٍ يَطْمَحُ فِي دَيْمُومَةِ الأَمْنِ وَالأَمَانِ(٥)، وهو من أهم آثار التعايش السلمي الذي لا غنى عنه للإنسانية نظرا إلى فوائده الجمة ومنافعه الكثيرة التي سبق ذكرها.

(١) الجسمي: نعمة الامن والامان).
(٢) السويدان: من فوائد الأمن والاستقرار ..
(٣) أهمية الأمن/ موضوع.
(٤) السويدان: من فوائد الأمن والاستقرار..
(٥)الكمالي: أهمية التعايش السلمي.

٢- **الاستقرار والاستحكام**: التعايش السلمي صمام أمان لتحقيق الاستقرار والاستحكام بجميع أنواعه: السياسي والاقتصادي، والاجتماعي، والأسري، والذهني والنفسي والعملي والتعليمي والصناعي وغيرها، وله فوائد ومنافع كثيرة للأفراد والمجتمعات والدول والبلدان والشعوب لاتخفى على أهل العلم، وباختصار فهو من أهم مقومات العيش الكريم، ونيل القوة والتمكين، والرقي والتعمير.

والاستقرار بكل أنواعه، وفي كل مجالاته.. ولا سيما في المجالين السياسي والاقتصادي؛ لأن من شأن اضطرابهما اضطراب حياة الناس؛ ولذا يكثر في الاستعمال السياسي والاقتصادي استخدام كلمة الاستقرار؛ ذلك أن الاستقرار ضرورة من ضرورات العيش(١) فالدنيا بأسرها لا تساوي شيئاً بلا استقرار. فلا قيمة للقصور والدور والأموال والضياع إذا ضاع الاستقرار.

وأن البشرية، مجتمعات وأفرادا، وسواء كانوا مختلفين في اللون أو العرق، أو الدين والمذهب، أو الحزب والانتماء السياسي لا يمكن أن تستقر ولا يمكن أن تتقدم ما لم يسعون إلى التعايش السلمي الذي يبدأ من إيمان الإنسان الفرد به، والثقافة المجتمعية بأهميته وينتهي بحسن العلاقات بين الدول على أساس الاحترام المتبادل (٢).

وباختصار إِنَّ التَّعَايُشَ السِّلْمِيَّ ضَرُورَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِأَيِّ مُجْتَمَعٍ يُرِيدُ الاسْتِقْرَارَ والاستحكام في جميع شؤونه.

٣- **التطور والرقي**: لاريب أن التعايش السلمي سبب رئيس للرقي والتطور في جميع مجالات الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والصناعية والأخلاقية وغيرها، ولا يتصور تحققه بدونه، وإن حصل فهو غير مكتمل، لأنه إذا توفر الاستقرار مع الأمن والأمان بسبب التعايش السلمي فالجميع يكون في خدمة هذا

(١) الحقيل: الاستقرار : أهميته وأسبابه.

(٢) جميل عودة: صيانة الحقوق.....

الكون ويبذل قصارى جهده في الكشف والتحقيق والاختراع ومعرفة أسرار الكون، والكل يتجه الى عمله بيسر وسهولة وبدون خوف ووجل، وبسبب هذا يحصل التطور للفرد والمجتمع بأكمله في جميع مجالات حياة الإنسان، والتطور والرقي مطلوب شرعا وعقلا وتعود فائدته لاعلى البشرية فحسب بل على جميع الكون، والبشرية في العصر الحاضر تتمتع بأنواع كثيرة من الخدمات الجديدة في مجال الطب والنقل، والمواصلات والعلوم لم تكن موجودة من قبل، ولم يتصورها آباؤنا وأجدادنا، وهذه كلها بسبب التطور والرقي الحاصل في جميع مجالات الحياة وخاصة في التعليم.

فالمجتمع والفرد لا يتقدم ولا يتطور إلا بالتعايش السلمي في جميع مجالات الحياة.

٤- **العهود والمواثيق**: التعايش السلمي يقود الأفراد والدول، والمجتمعات والشعوب، والبلدان والأمم إلى عقد العهود ووالمواثيق والاتفاقيات الدولية والإقليمية والمحلية في جميع مجالات الحياة وبالأخص لحفظ الأمن والسلام وتبادل المعلومات والتقنية والخبراء وغيرها، ولاريب أن الكل يسعي إلى الوفاء بعهده وعدم مخالفته .

وإن احترام المواثيق، والوفاء بالعهود، شرط ضروري لاستقرار الحياة الاجتماعية واستقامتها، إذ الثقة المتبادلة ركن أساس لهذه الحياة، ولا تتحقّق هذه الثقة المتبادلة إلا بالوفاء بالعهود، والاحترام المتقابل للمواثيق والوعود(١).

والآثار المترتبة على الالتزام بالعهد والميثاق متنوعة ومتعددة، فهناك الآثار التي تخص الفرد وأخرى تعم الجماعة، بعضها في الحياة الدنيا، وأخرى يوم القيامة.

٥- **الرخاء والرفاهية**: الرفاهية الإنسانية لا يمكن تحقيقها إلا بإشباع الحاجات المادية والروحية للإنسان معاً، دون إهمال أي من النوعين.لقد ربط

(١) عمار كاظم: الإسلام واحترام العهود والمواثيق.

الإسلام بين الجانبين الروحي والمادي للحياة ربطاً متداخلاً وثيقاً، ليكون كل منهما مصدر قوة للآخر، وليكونا معاً أساس رفاهة الإنسان وسعادته الحقيقية(١).

والتعايش السلمي سياسة خارجية تنتهجها الدولة المحبة للسلام وتستند إلى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب بصفتها وسيلة لفض المنازعات وتعاون الدولة مع غيرها من الدول لاستغلال الإمكانيات المادية والطاقات الروحية استغلالاً يكفل تحقيق أقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن النظم السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية(٢).

وإذا ساد الأمن والأمان في المجتمع بسبب التعايش السلمي واستقرت الأمور واستحكمت وبالتالي تطورت العلوم والتقنية وتوفرت الوظائف وفرص العمل للجميع فلاشك أن الفرد والمجتمع يتمتع بالرخاء والرفاهية، وتعم السعادة للجميع.

ولا يمكن تحقق الرخاء والرفاهية إلا في ظل التعايش السلمي وخاصة في المجتمعات كثيرة الديانات والعقائد.

٦- **الدعوة إلى الإسلام**: التعايش السلمي يوفر فرصة ذهبية لا تقدر بثمن لجميع أهل الأديان وخاصة المسلمين القاطنين مع غير المسلمين في أي بقعة من الأرض أن يدعو الناس إلى الإسلام بيسر وسهولة وينشر دعوته بالحرية بدون خوف أو وجل ، ويوضح عظمة هذا الدين وسماحة تشريعاته وسمو قيمه من قضية حقوق الإنسان ويرد على الاتهامات والاعتراضات الباطلة ويصحح صورة الإسلام التي حاول الأعداء تشويهها، وينفي عن الإسلام تهم التطرف والإرهاب التي يحاول خصوم الإسلام وأعداؤه رمي الإسلام بهاوغيرها.

وهذه فريضة فرضها الله عليهم، ولا يمكن أن يتم هذا العمل بكماله

(١) العطار: الرفاهية في الإسلام.
(٢) جميل عودة: صيانة الحقوق من .....

وتمامه إلا في ظل التعايش السلمي، كما حصل بعد صلح الحديبية بين المسلمين والكفار، وكان له أثر عظيم على الفرد والمجتمع فتقول الروايات انه دخل خلال ثلاث سنوات فقط في دين الله أفواجا ما لم يدخل في السنوات السابقة على ذلك الصلح إطلاقا.

٧- **صيانة الحقوق**: الدين الإسلامي أعظم دينٍ يرعى الذمم، ويُعلي من مكانة الإنسان، ويُحافظ على حقوقه ويرعى مصالحه. وحقوق الإنسان في الإسلام تضمن تلبية الاحتياجات الأساسية لجميع الناس، والإسلام باستقراء نصوصه حافظ على حقوق الإنسان، وصان كرامته، وأعلى من قدره من خلال أوامره ونواهيه(١)، وحدد حقوق جميع أصناف الناس: المسلمين وغير المسلمين، البعيدين والقريبين، الأقارب والأجانب، وفصلها تفصيلا ، وأوجب على الناس أداءها وشدد عليها، وفي حالة التقصير والمخالفة حذر من سوء عاقبتها، ووعد وهدد بالعذاب الأليم.

ومن هنا تتجلى أهمية التعايش السلمي بأنه يصان به حقوق الفرد والمجتمع على أحسن وجه، لأن جميع الإدارات والمؤسسات المسؤولة عن صيانة الحقوق مثلا الدولة، الحكومة، المحاكم والمحاماة، جمعيات حقوق الإنسان الحكومية وغير الحكومية والمنظمات الدولية والإقليمية والمحلية، ووسائل الإعلام جميعها تقدر أن تتحرك وتعمل في حالة التعايش السلمي ويحمي من انتهك عرضه واغتصب حقوقه وترد الظالم وتساعد المظلوم وتتابع أحواله في المحاكم، وهكذا ينال الفرد والمجتمع حقه المهضوم ولكن في حالة غياب السلم لا يمكن أن تعمل هذه الإدارات وتسعى جاهدة لإيصال الحقوق إلى أهلها.

٨- **تعزيز المكانة**: التعايش السلمي فرصة ذهبية لتعزيز المكانة والمرتبة لأي

(١) أهمية حقوق الإنسان في الإسلام وأهمية حقوق الإنسان / موضوع.

قوم وشعب حتى الأقلية في اى جزء من العالم، لأن الأقلية في أي دولة وبلد مطالبة بمشاركة الأكثرية التي تخالفها في العقيدة والمذهب والذوق، والانسجام معهم في الحياة الاجتماعية مما لم يمنع الشرع منعا صريحا، وهذا يكسب لهم ربحا كبيرا في مجال الدين ويرفع عنهم خسارة يجرها الاعتزال والانطواء الذاتي(١).

ولتعزيز مكانة الأقلية المسلمة وغير المسلمة لا بد من الانتفاع المتبادل، ولابد أن يستفيد المسلمون مما لدى غيرهم من جوانب التقدم الحضاري، وأن ينافسوا في الحصول على أسرار التفوق والجوانب الإيجابية المتوفرة لديهم، أن من أهداف تعاون الثقافات أن يختار كل منها ما يناسبه، وفي المنظور الإسلامي يمكن التعاون مع غير المسلمين فيما لا يتعارض مع العقائد والقيم الإسلامية الأصيلة، والاستفادة مما لديهم من جوانب التقدم الحضاري.

ومن جوانب الانتفاع المتبادل تطوير العلاقات الاقتصادية، وتفعيل المشاريع ذات الجدوى، إن الضرورات الاقتصادية التي نجمت عن الاعتماد المتبادل والاتصال العالمي للمجتمعات، تصطدم الآن بالممارسات المميزة المتنوعة، وما ينتمي إليها من معايير الثقافات المختلفة....، ويتطلب الاعتماد المتبادل في ظل شروط التكنولوجيا الحالية لعملية العلم والقبول .

وقد عمل يوسف عليه السلام وزيرًا للمالية أو رئيس الوزراء في دولة غير مسلمة، وأحسن في تدبير الاقتصاد، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥] (٢).

٩- زوال الخوف والرعب: التعايش السلمي أحد أهم الأسباب لزوال الخوف والرعب الذي لهأنواع وأقسام كثيرة، وله آثار سلبية شديده على الفرد

(١)الأهدل: التعايش بين الهندوس والأقلية المسلمة في الهند.

(٢) الأهدل: التعايش بين الهندوس....

ووالمجتمع، وأضرار جسدية ونفسية ومادية واجتماعية متنوعة.

الفرد والمجتمع الذي يعيش في خوف دائم وقلق مستمر ورعب قائم لا يستقر ولا يهنأ له العيش والحياة، والناس لا يأمنون على حياتهم وأموالهم، وتنعدم فرصة العمل ويعم الفقر والفاقة، ولكن إذا زال الخوف بسبب التعايش السلمي فيعم الأمن والأمان وساد الاستقرار وعمت الرفاهية ويفنى الخوف والوجل والقلق والتوتر من الأفراد والمجتمعات، وزوال الخوف والرعب يعني العيش بسلام وكرامة يتمناها كل رجل على وجه هذه الأرض.

١٠-تبادل المعلومات والتقنية: من المستحيل أن يتمكن أي مجتمع من الانغلاق على نفسه دون أن يختلط مع باقي شعوب العالم بسبب الاختلاف في الدين أو لأي سبب آخر فنحن نعيش الآن في عصر التطور التكنولوجي وتبادل المعلومات التي شئنا أم أبينا فإنها تخترق كل ركن وكل فئة وشريحة من مجتمعاتنا وتتأثر وتؤثر في ثقافاتنا وعلاقاتنا ونمط حياتنا لذا فان الأمل مازال معقودا على أن تتمكن شعوب العالم من التعايش مع بعضها البعض بشكل سلمي على الرغم من الاختلافات الدينية والمذهبية والقومية مهما كانت درجة الاختلاف من النواحي الاقتصادية والعلمية أغلبية كانت أم أقلية"(١).

والعالم بأسره يحتاج إلى تبادل المعلومات والتقنية في جميع مجالات الحياة لكي يعم نفعها على الجميع ويستفيد منها كل العالم وتتطور الدنيا كلها. ولا يمكن تحققه إلابالتعايش السلمي بين الدول والشعوب.

١١-كثرة الاختلاط والحركة: اذا تحقق التعايش السلمي في البلدان المختلفة والعالم المعاصر فلا شك أنه تزداد الحركة والتنقل بين الأفراد والمجتمعات وخاصة في حالة وجود وسائل نقل سريعة في

(١) الإسلام والتعايش السلمى ..... أمسيات بمساجد الإسكندرية.

هذه الأيام، وبهذا يكثر الاختلاط بين الشعوب والأمم والمجتمعات مختلفة الأديان والعقائد، ويتم التعارف بين الناس ويزداد التعارف والتآلف بين الشعوب الذي يساهم في تقليل الفجوة ويكثر تبادل الأفكار والآراء ويقوي أواصر الوحدة والتكافل الاجتماعي ، وتنشط الحركة التجارية أيضا وينعدم الكساد ويروج البيع والشراء، ويغيب الغلاء، ويغنى الناس وتكثر الوظائف وترخص المواد الغذائية والأيدي العاملة، وتقل الكراهية والبغض والتنافر إلى حد ما بين الناس، ولاشك أن هذه الأشياء كلها لها فوائد ومنافع لا تعد ولا تحصى ولا تقارن بأي شيء على الفرد والمجتمع من جميع النواحي.

١٢-استثمار أو تحييد المعتدلين من غير المسلمين: لا يمكن أن يتحقق هذا الأمر إلا بالتعايش السلمي بين أصحاب الديانات والعقائد المختلفة، وفيه مكسب ومصلحة للجميع وخاصة للأقليات المسلمة التي تعيش في أوساط غير المسلمين، وهذا مطلوب شرعا لأن القرآن الكريم بين أن غير المسلمين ليسوا متساوين في العلاقة مع المسلمين، وضرب مثالا لذلك في تصرفات اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران: ٧٥]. ولذا لا ينبغي إصدارالأحكام العامة على الأفراد، ولا يصح التعميم في الحكم على الآخرين، فمن طبيعة البشر أن فيهم الصالحين وفيهم المفسدين، ومنهم الموافقين ومنهم المناوئين(١).

وإذا كان هناك مجموعة من غير المسلمين من السياسيين والإعلاميين والصحفيين والمثقفين والكتاب وغيرهم تناصب المسلمين العداء، وتقف ضد مصالحهم ومشاريعهم، فان منهم أيضا طائفة أخرى تميل إلى الإنصاف والاعتدال، وتتصف بالانفتاح والتحضر،

(١) الأهدل: التعايش بين الهندوس والأقلية....

وتتحمس لشؤون المسلمين وتدافع عنهم، وتكتب وتتكلم باسمهم.

ولذا ينبغي اقتناص فرص التعايش والاستفادة من هؤلاء المنصفين، وتقوية التواصل معهم، وإقامة العلاقات الودية معهم، واستضافتهم في المحافل والمنتديات، واستثمارهم لنصرة قضايا المسلمين، والدفاع عن حقوقهم ورد الظلم عن المظلومين، وإن لم يمكن الوصول إلى هذه المرحلة فيكفي تحييدهم وكف أذاهم عن المسلمين.

فمادامو مسالمين ويرغبون في إقامة العلاقات الودية فالأولي التجاوب معهم، فان في ذلك مصالح عديدة، وإشاعة السلام مطلوب حتى في أيام القتال(١)، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٦١]. يقول ابن سعدي: ﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي أجبهم إلى ما طلبوا متوكلا على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة:منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، ومنها: أن في ذلك إجماما لقواكم، ومنها: أنكم إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضا، وتمكن كل مما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلوولايعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف، فلابد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق، والعدل فيهم، وأنه لاجور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا التعايش السلمي عونا للمسلمين على الكافرين (٢)، وهذه فائدة كبيرة للجميع وبالأخص للمسلمين.

هذه هي بعض أهم آثار التعايش السلمي على الأفراد والمجتمعات، والشعوب والأمم، والدول والبلدان التي تم تناولها منفردة مستقلة، كل أثر تحت نقطة خاصة بقدر من التفصيل. ولكن لا يمكن الاستمرار على هذا المنوال لكي لا يطول البحث ويكثر الكلام.

(يتبع)

(١) الأهدل: التعايش بين الهندوس والأقلية....

(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن...

مقالات وردود

مقالات الغلو في النبي ﷺ والرد عليها

عبيد الله الباقي أسلم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقالة الأولى: الغلو في النبي ﷺ بأنه أول مخلوق، وأنه مخلوق من نور:

لقد اعتقد أهل الغلو بأن النبي ﷺ أول مخلوق، وأنه مخلوق من نور، وأن جميع المخلوقات تفرعت عنه عليه الصلاة والسلام، وممن قال بهذه المقالة:

أ – الصوفية:

قال الشيخ علي حرازم: "أول موجود أوجده الله من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد ﷺ، ثم نسل الله أرواح العالم من روحه ﷺ"(١).

وقال التيجاني: "لما خلق (الله عزَّ وجلَّ) النور المحمدي؛ جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جمعًا أحديًا قبل التفصيل في الوجود العيني وذلك في مرتبة العقل الأولي"(٢).

ب – البريلوية:

قال الشيخ أحمد رضا خان البريلوي: "الحمد لله الذي خلق قبل الأشياء نور نبينا من نوره، وفتق الأنوار جميعاً من لمعات ظهوره، فهو نور الأنوار، ومهد جميع الشموس والأقمار" (٣).

وقال الشيخ شمس الدين الرضوي: "إن الله تبارك وتعالى خلق نبينا ﷺ بنوره قبل كل شيء، وخلق بنوره ﷺ الأنبياء والملائكة والأرض والسموات والكرسي وكل شيء من المخلوقات" (٤).

(١) جواهر المعاني وبلوغ المعاني (٢/ ٢٢٥).

(٢) الرماح (١/ ١٤٧).

(٣) نفي الفيء[مجموعة الرسائل] (ص:٣).

(٤) قانون شريعت [قانون الشريعة] (ص:١٩-

ج –الديوبندية:

وقد استدل الشيخ أشرف علي التانوي على ذلك بحديث موضوع: "إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى"(١)، وبعد ذكر هذا الحديث المختلق قال: "ثبت بهذا الحديث أن النور المحمدي هو أول الخلق مطلقًا، وتحققت له الأولية الحقيقية"(٢).

والحاصل: أن أهل الغلو يزعمون في النبي ﷺ: أنه أول مخلوق في العالم، وأنه مخلوق من نور.

والرد على ذلك:

أولًا: أن القول بأن البني ﷺ أول مخلوق قول باطل بما يلي:

أ –أن آدم عليه السلام هو أول مخلوق من البشر كما يدل على ذلك النصوص الشرعية(٣).

ب – أن النبي محمدًا ﷺ ولد من أبوين قرشيين معروفين (عبد الله وآمنة) في القرن السادس الميلادي.

ثانيًا: أن الدعوى بأن النبي ﷺ مخلوق من نور هي باطلة، وذلك:

أ – أن الكتاب والسنة قد صرحت بأن النبي ﷺ بشر، فهو من جنس البشر، وليس مخلوقًامن نور(٤).

ب – أن النبي ﷺ كان من أولاد آدم عليه السلام، وهو خلق من التراب(٥).

المقالة الثانية: الغلو في علم الغيب للنبي ﷺ:

يعتقد أهل الغلو بأن النبي ﷺ يعلم جميع ما كان وما يكون من هذه المخلوقات والموجودات أزلاً وأبداً لا تخفى عليه منها خافية، وممن قال بهذه

---

٢٠).

(١) ينظر: النشر الطيب للتانوي (ص: ٥ –٦).

(٢) ينظر: عقائد الديوبندية (ص: ١٨٨ – ١٨٩).

(٣) ينظر: سورة ص (٧١ – ٧١)، وسورة المؤمنون (١٢ – ١٤)، وسورة الإنسان (٢)، وسورة الكهف (١١٠).

(٤) ينظر: سورة الكهف (١١٠)، وصحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان (ح:٤٠١)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو فِي الصلاة والسجود له (ح:٥٧٢).

(٥) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب فِي أحاديث متفرقة(ح:٢٩٩٦).

المقالة:

أ–الصوفية:

قال التيجاني: "اعلم أن النبي ﷺ كان يعلم الأولين والآخرين إطلاقًا وشمولًا، ومن جملة ذلك العلم بالكتب الإلهية فضلًا عن القرآن وحده"(١).

ب–البريلوية:

قال الشيخ أحمد رضا خان البريلوي: "كان يعلم الأمور الخمسة: وقت الساعة، وقت نزول الغيث، وما في الأرحام، وأوقات موت النفس، وأين تموت؟"(٢)، "ولم يكن يعلم هذه الأمور الخمسة فحسب، بل كان يعطي علوم هذه الخمسة من يشاء من خدمه" (٣).

قال الشيخ أمجد علي البريلوي: "أعطى المصطفى ﷺ علم الأولين والآخرين، وعلم ما كان وما يكون وعلم ما في السماوات وما في الأرض، فمن اعتقد هذا مؤمن، ومن لم يعتقد هذا؛ فهذا كافر خارج عن دائرة الإسلام"(٤).

ج–الديوبندية:

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري: "نقول باللسان ونعتقد بالجنان أن سيدنا رسول الله ﷺ أعلم الخلق قاطبةً بالعلوم المتعلقة بالذات، والصفات، والتشريعات من الأحكام العملية، والحكم النظرية، والحقائق الحقة، والأسرار الخفية وغيرها من العلوم، وما لم يصل سرادقات ساحته أحد من الخلائق، ولا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولقد أعطي علم الأولين والآخرين، وكان فضل الله عليه عظيمًا"(٥).

وقال الشيخ أنور شاه الكشميري: "إن الأنبياء يرون في كشوفهم أشياء بعين الباصرة لا نراها، وكذلك الأنبياء عليهم السلام يرون المغيبات بعين الباصرة في

(١) جواهر المعاني وبلوغ الأماني (٢/ ١٢٢).
(٢) خالص الاعتقاد (ص:٥٣)، والدولة المكية بالمادة الغيبية (ص:١٤٤).
(٣) خالص الاعتقاد (ص:١٤).
(٤) بهار شريعت [ربيع الشريعة] (ص:٥٥-٥٦).
(٥) ينظر: المهند (ص: ٥٠).

اليقظة"(١).

والحاصل: أن المبتدعة يعتقدون أن النبي ﷺ يعلم ما كان وما يكون، وعنده علم الأمور الخمسة الغيبية، ويعطي من يشاء من أتباعه.

والرد على ذلك:

أ – أن هذا الاعتقاد كفر صريح ومخالف للنصوص الشرعية(٢).

ب – أن النبي ﷺ قد أعلن أنه لا يعلم الغيب إلا ما أوحي إليه من الله جل وعلا(٣).

ج –أن كثيرًا من الحوادث التي حدثت في حياة النبي ﷺ إنما هي تدل على أنه لا يعلم الغيب إلا ما أوحي إليه ﷺ(٤).

المقالة الثالثة: الغلو في الحياة البرزخية للنبي ﷺ:

لقد غلت المبتدعة في حياته ﷺ بعد وفاته؛ فأنكروا حياته البرزخية، وجعلوها دنيويةً، وممن قال بهذه المقالة:

أ – الصوفية:

مما يدل على ذلك قصة مد النبي ﷺ يده إلى الرفاعي؛ مجملها: أن الرفاعي سافر ومعه جم غفير إلى مكة ثم المدينة، ووقف عند القبر، وقال: السلام عليك يا جدي! قال له النبي ﷺ: وعليك السلام يا ولدي، فتواجد الرفاعي فقال:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
وهذه دولة الأشباح قد حضرت

فانشق التابوت ومد النبي يده إلى الرفاعي ليقبلها أمام جمع كبير من الناس يزيدون على التسعين ألفًا(٥).

ب –البريلوية:

قال الشيخ سعيد الكاظمي: "لم يطرأ الموت على رسول الله ﷺ ولا للحظة؛ لأنه عندما أريد قبض روحه للحظة كانت الحياة موجودة في جسده"(٦).

---

(١) ينظر: فيض الباري (١/ ١٧).
(٢) ينظر: سورة الأنعام (٥٩)، وسورة النمل (٦٥)، وسورة الجن (٢٦ – ٢٧).
(٣) ينظر: سورة الأعراف (١٨٨)، وسورة هود (٣١).
(٤) منها حادثة الإفك وغيرها.
(٥) ينظر: المعارف المحمدية (ص: ٣٤).
(٦) حياة النبي ﷺ لأحمد سعيد الكاظمي

وقال الشيخ أحمد يار: "ولا فرق بين موته وحياته عليه السلام في معرفته بأحوالهم ونيابتهم وعزائهم وخواطرهم، وذلك جلي عنده لا خفاء به..."(١).

ج –الديوبندية:

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري: "وعندنا وعند مشايخنا حضرة الرسالة حي في قبره الشريف، وحياته ﷺ دنيوية من غير تكليف، وهي مختصة به ﷺ" (٢).

وقال الشيخ عبد الشكور الديوبندي: إن "النبي ﷺ حي الآن في قبره، وهو كمن انعزل عن الناس واعتكف أربعين يوماً؛ فهو حي حياة دنيوية بجسده العنصري، حياة مستمرة، وحياة حقيقية جسمانية لا روحانية، بل هي حسية جسمانية؛ ولذا لا تورث تركته، ولا تنكح أزواجه..."(٣).

د – جماعة التبليغ:

قال الشيخ زكريا: إن الأنبياء أحياء في قبورهم، وقد تحقق أن الرسول ﷺ يسمع تسليم أهل الإيمان(٤).

والحاصل: أن أهل الغلو يعتقدون أن النبي ﷺ لم يمت أصلًا، بل هو حي في قبره حياة دنيوية وحسية وجسمانية.

والرد على ذلك:

أ – أن كثيرًا من النصوص الشرعية تدل على أن النبي ﷺ قد مات(٥).

ب – ويلزم بهذه العقيدة الباطلة على أهل الغلو ما يلي:

١ – كيف غسّل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ وهو حي؟، وكيف دفنوه في القبر وفارقوه عنا وهو حي؟، وكيف استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه والنبي ﷺ حي في حياته الحسية الحقيقية؟، وكيف قال أبو بكر الصديق

(ص:١٠٤).

(١) جاء الحق لأحمد يار (ص:١٥٠-١٥١).

(٢) المهند على المفند (ص: ٣٨).

(٣) ينظر: عقائد أهل السنة والجماعة (الديوبندية) للمفتي عبد الشكور(ص:١٥٩-١٦٥).

(٤) ينظر: تبلغي نصاب [المواد التبليغية] (ص: ٦٨٩).

(٥) ينظر: سورة آل عمران (١٤٤)، وسورة الزمر (٣٠)، وصحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت (ح: ١٢٤١).

رضي الله عنه:«إن محمداً(ﷺ) قد مات؟»(١).

٢ – وما هو الجواب عن قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، وهل يُنكر على قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ؟

المقالة الرابعة: الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته:

لقد غلا المتصوفة في النبي ﷺغلوًا مفرطًا حتى رفعوه من مقام العبودية إلى الربوبية والألوهية؛ ومن الأمثلة على ذلك: أنهم يستغيثون به ﷺ، ويعتقدون أنه يسمع ندائهم: وممن يعتقد بهذه العقيدة الفاسدة:

أ – الصوفية:

قال عبد الرحيم البرعي:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي
في كل هول من الأهوال ألقاه(٢).

وقال البوصيري:

وأبى الله أن يمسني السوء
بحال ولي إليك التجاء(٣).

وقال النبهاني:

يا رسول الإله إني غريب
فأغثني يا ملجأ الغرباء(٤).

ب – البريلوية:

قال الشيخ أحمد يارالبريلوي:

يا شفيع العباد خذ بيدي
أنت في الاضطرار معتمدي
ليس لي ملجأ سواك أغث
مسني الضر سيدي سندي
غشني الدهر ابن عبد الله
كن مغيثا فأنت لي مددي(٥).

ج – الديوبندية:

قال الشيخ أشرف علي التانوي: "ما دعاه محزون عند حادثة نزلت به إلا أجابه العون والتيسير منه ﷺ"(٦).

د – جماعة التبليغ:

من معتقداتها: أن النبي ﷺ يغيث

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت (ح١٢٤١).
(٢) ينظر: ديوان عبد الرحيم البرعي (ص: ١٤).
(٣) ينظر: قصيدة الهمزية في خير البرية (ص: ٢٧).
(٤) ينظر: شواهد الحق للنبهاني (ص: ٣٥٢).
(٥) جاء الحق لأحمد يارالبريلوي (ص:٢٠٣).
(٦) ينظر: النشر الطيب (ص: ١٤٢).

المستغيثين، ويكشف عنهم الضر(١).

والحاصل: أن أهل الغلو يزعمون أن النبي ﷺ يسمع نداء المستغيثين به بعد وفاته:

والرد على ذلك:

أ – أن الأصل أننا لا نستطيع أن نسمع الميت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقال ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] .

ب – أن النبي ﷺ لو سمع نداء المستغيثين به لتوجه الصحابة رضي الله عنهم إليه واستغاثوا به في حالة القحط والجدب وغيرها، ولكن لم يفعل أحد منهم ذلك.

المقالة الخامسة: الغلو في كون النبي ﷺ حاضراً وناظراً:

ولقد غلت المبتدعة في النبي ﷺ حيث جعلوه حاضراً وناظراً في كل مكان؛ فممن قال بهذه المقالة:

أ – الصوفية:

قال بعضهم: إن السماء والأرض، والعرش، والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ يرى جميع الناس في زمان واحد، وجميع الأقطار المتباعدة بدون أي إشكال ... وإن القطب يملأ الكون، ويكون حاضرًا وناظرًا وشاهدًا في كل مكان في الكون فما بالك برسول الله ﷺ؟(٢).

ب – البريلوية:

قالوا: "إن الله تعالى أرسل النبي ﷺ حاضراً وناظراً؛ والمقصود منه: أنه موجود في روضته المنورة وهو يشاهد جميع الكائنات؛ فيحضر أينما يشاء ومتى يشاء..."(٣)؛ ف"لا يخلو مكان وزمان إلا والرسول ﷺ موجود فيه"(٤)، "وأنه يحضر عند تلاوة القرآن وقراءة المولد وقراءة القصائد كما يحضر جنازة

(١) ينظر: جماعة التبليغ عقائدها وتعريفها (ص: ١٩٤، و ٢٥١ – ٢٥٥).

(٢) ينظر: غاية الأماني (١/ ٥٢)، وذكر فيه الآلوسي عن النبهاني، ينظر: الهداية والعرفان لمحمد أسعد النقشبندي (ص: ٥٩).

(٣) بهار إيمان [ربيع الإيمان] لمحمد لياقت علي الرضوي (ص:٦٣).

(٤) تسكين الخاطر في مسألة الحاضر والناظر لأحمد سعيد الكاظمي(ص:٨٥).

الصالحين بجسمه الأطهر"(١)، و "له الخيار في طواف العالم مع أرواح الصحابة ولقد رآه كثير من الأولياء"(٢).

ج – جماعة التبليغ:

من معتقداتها: أن النبي ﷺ يغيث المستغيثين، ويكشف عنهم الضر، وأنه في كل مكان(٣).

والحاصل: أن أهل الغلو يعتقدون أن النبي ﷺ يحضر أينما يشاء ومتى يشاء، وهو موجود في مكان بوجوده المبارك وبجسمه الأطهر.

والرد على ذلك:

أ –أن النبي ﷺ لم يخبرنا أنه حاضر وناظر في كل مكان، وأنه يسمع ويبصر كل شيء.

ب – أن رسول الله سيد المرسلين وخليل الله تعالى في جنة الفردوس الأعلى، فلماذا يحضر في بيوت أهل المعاصي، والأماكن السيئة؟!

المقالة السادسة: الغلو في تصرف النبي ﷺ في الكون:

لقد غلت المبتدعة في اعتقاد التصرف للنبي ﷺ تصرفاً مطلقاً في الكون بحيث جعلوه رباً لهذا لكون ومالكه يتصرف فيه ما يشاء، وممن قال بهذه المقالة:

أ – الصوفية:

قال النبهاني: "أنه (ﷺ) يعلم الغيب، ويعطي ويمنع، ويقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– عنهم: "وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بالخلق والرزق وقضاء الحاجات وكشف الكربات، وهذا ليس من دين المسلمين"(٥).

ب –البريلوية:

قالوا: "إن الله تعالى قد أعطى حبيبه

(١) جاء الحق لأحمد يار (ص:١٥٥).
(٢) المصدر السابق (ص:١٥٤).
(٣)ينظر: جماعة التبليغ عقائدها وتعريفها (ص: ٢٥٥).
(٤) ينظر: شواهد الحق (ص: ٢٧٩).
(٥) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢٨).

النبي الكريم ﷺ كثيرا من المعجزات والمراتب، وكذلك منحه شأن "كُنْ"؛ فبهذا يكون ما يشاء، فلا يرد دعاؤه ولا يرد قول منه ﷺ، بل ينتظر القضاءُ رضاه ﷺ بأن يصدر حكماً فيُنَفّذُ، سواءً كان متعلقاً بالأمور الدينية أو الأمور الدنيوية، فالله تعالى قد أعطاه ﷺ اختياراً كلياً وقدرةً كاملةً عليها"(١)؛ وهو "متصرف في الأرض والسماء" (٢)، و"يعطي ما يشاء من يشاء، وينزع ما يشاء ممن يشاء"(٣)، بل هو "خزانة السر وموضع نفوذ الأمر؛ فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خير إلا عنه"(٤).

ج –الديوبندية:

ومن معتقداتهم: أن أوليائهم ومشايخهم يقدرون على التصرف في الكون، فالنبي ﷺ أولى به(٥).

والحاصل: أن أهل الغلو يعتقدون أن النبي ﷺ بيده خزائن الأرض والسماء، وأن له قدة تامة في التصرف في الكون.

والرد على ذلك:

أ – أن الكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمتها يدل على أن التصرف في الكون صفة محضة لله عزَّ وجلَّ، فلا بد من إثبات القدرة المطلقة والقوة القاهرة لله تعالى وحده، قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨] ، فمن السفاهة والظلم أن يعطى الإنسان العاجز الضعيف ما كان من حق القادر القوي، ويعاملها معاملة سواء.

ب – أن الله عزَّ وجلَّ قد أمر نبينه المصطفى بأن يعلن أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ

(١) بهار إيمان [ربيع الإيمان] لمحمد لياقت علي الرضوي (ص:٦٦).
(٢) الفتاوى الرضوية لأحمد رضا خان البريلوي (٦/ ١٥٥).
(٣) بهار شربعت [ربيع الشريعة] لأمجد علي (١/ ١٥).
(٤) الفتاوى الرضويةللبريلوي (١/ ٥٧٧).

(٥) ينظر: الديوبندية تعريفها وعقائدها (ص: ٢٠٧ – ٢٢١).

ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩] ، فكيف يعقل أن بيده مقاليد السماوات والأرض، وأن له الخزائن كلها؛فيعطي ما يشاء من يشاء، وينزع ما يشاء ممن يشاء!، والحق أن كل من يعتقد أن النبي ﷺ يقدر على التصرف فيما يختص بالله سبحانه وتعالى فهو مشرك كافر.

خلاصة القول:

أن هذه العقائد الباطلة مبنية على أمرين أساسيين:

الأمر الأول: أن النبي حي – حياة دنيوية – ويعلم الغيب.

الأمر الثاني: أن له اختياراً كلياً وقدرةً كاملة للتصرف في الكون.

المقارنة بين عقيدة أهل الغلو وأهل السنة والجماعة في النبي ﷺ:

أهل السنة الجماعة: عقيدتهم في النبي ﷺ مبينة على أدلة الكتاب والسنة الصحيحة، حيث إنهم يعتقدون أن النبي ﷺ من جنس البشر، وأنه ولد من أبوين قرشيين معروفين (عبد الله وآمنة) إلا وقد أوحي إليه من الله عزَّ وجلَّ، وهو سيد الخلق وأفضلهم وأكرمهم عبدًا عند الله تعالى؛ وليس له اختيار وقدرة في التصرف فيما يختص بالله جل وعلا من الأمور الكونية.

أهل الغلو: عقيدتهم في النبي ﷺ باطلة وعارية من أدلة الكتاب والسنة الصحيحة بل إنما هي مبنية على الكذب والافتراء، ومأخوذة ومستمدة من الفكرة الفلسفية اليونانية، وعقائد الهندوسية(١) والبوذية(٢) والنصرانية(٣) وغيرها من الديانة الوثنية.

***

(١) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٦٠٨ – ٦٠٩).

(٢) ينظر: رسائل في الأديان والمذاهب (ص: ٥٥ – ٥٦).

(٣) ينظر: دراسات في اليهودية والنصرانية (ص: ٢٨٣ – ٢٩٥).

جهود ودراسات

دراسة كتاب"مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه"

أمير الإسلام بن بحرالحق الجاندفوري
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنّ محمّدًا عبده ورسوله وصفيُّه وخليلُه، صلواتُ ربّي وسلامُه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومنْ تَبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين، أما بعد:

فإنَّ الله تعالى أعظَمَ على عباده المنّة؛ إذْ أكرمهم في الدُّنيا بأنواع النّعمة، وأكمَلَ لهم الدِّين، ورضي لهم الإسلام ديناً، كما قال تعالى:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

وقد تكفّلَ الله بحفظ هذا الدّين إلى يوم القيامة، وهيَّـأَ سبحانه لـحِفْظه وصيانته علماءَ وأئمّةً أمَدّهم بشتى المواهب- النفسية، والعقلية، والحفظ المستوعب، والقدرة الهائلة على الاطلاع- مما يبـْهرُ العقلَ، ويجعلُ المتأَمِّل في أحوالهم يستيقن أنّ هؤلاء أعدَّهم الله لحفظ دينه، وصدَقَ سبحانه إذ يقول:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

وهؤلاء العلماء قد اتَّـخَذُوا وسائل عدّة لحفظ الدين وصيانته من عبث العابثين، وإلحاد الملحدين، ومن تلكم الوسائل: مؤلفاتهم القيِّمَةُ، المختلفة المناهج والموضوعات؛ فمنهم من ألّف في العقيدة، ومنهم من ألّف في الفقه، ومنهم من تصَدّر للتأليف في الحديث وشروحه، وهكذا في سائر العلوم والفنون.

ومن الكتب المؤلَّفة في شروح الحديث: كتاب "مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجة" الذي ألّفه عالمٌ موسوعيٌّ

من علماء القرن العاشر الحافظ السيوطي رحمه الله. وسوف أقوم بدراسة هذا الكتاب في هذا المقال، راجِيًا من الله عز وجل أن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعله خالصًا لوجهه؛ إنّه قريب مجيب.

التعريف بالكتاب (مصباح الزجاجة).

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب:

سمّاه مؤلفه "مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه" كما صرَّح بذلك في مقدمة الكتاب.[ينظر:مقدمة مصباح الزجاجة ١/ ١٥]. وكما نقل عنه تلميذه عبد القادر الشاذلي في كتابه "بهجة العابدين:ص١٨٢"، وبه سمّاه حاجي خليفة وغيره من العلماء. [ينظر:كشف الظنون:٢/ ١٠٠٥، وهدية العارفين: ٢/ ٥٠٠].

والبعض يذكره بـ "شرح سنن ابن ماجه"؛ وهذا باعتبار الوصف والموضوع.

المطلب الثاني: توثيق نسبته إلى المؤلف:

هناك أمورٌ عديدة تدل على صحة نسبة الكتاب للمؤلف، منها:

١- تصريح المؤلف بذلك في غير واحد من كتبه. [ينظر: حسن المحاضرة: ١/ ١١٣، والتحدث بنعمة الله" ص/ ١١٢].

٢- عزاه إليه العلماء الذين ترجموا له أو تكلموا عن مؤلفاته.

٣-نقول العلماء عنه ووجوده في كتابه"مصباح الزجاجة" كما نقلوا عنه؛ كالسندي رحمه الله قد نقل عنه كثيراً في حاشيته على سنن ابن ماجه- وذلك أحياناً باللفظ وأحياناً بالمعنى-فعلى سبيل المثال:

قال السندي- أثناء كلامه على حديث: «أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُهُ الْحَقُّ عُمَرُ»-: «قال السيوطي: قال الحافظ عماد الدين بن كثير في جامع المسانيد هذا الحديث منكر جدًّا، وما هو أبعد من أن يكون موضوعًا».[حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٥٢)].

فهذا الكلام بنصه موجود في "مصباح الزجاجة" (١/ ٨٣).

المطلب الثالث: موضوع الكتاب:

شرح المؤلف بذلك "سنن ابن ماجه" أحد الكتب الستة المعروفة.

المطلب الرابع: سبب تأليفه:

أراد السيوطي رحمه الله أن يعلق تعليقًا موجزًا يشتمل على ما يحتاج إليه القارئ من ضبط ألفاظه، وتفسير غريبه، وبعض الأمور الأخرى اليسيرة على كل كتاب من الكتب الستة،وقد بيّن ذلك في أوّل تعليق له على"صحيح البخاري" حيث قال- بعد أن وصف كتابه" التوشيح" وبين منهجه"-:«وقد عزمت على أن أضع على كل من الكتب الستة كتابًا على هذا النَّمط؛ ليحصل به النفع بلا تعب، وبلغ الأرب بلا نصب، حقق الله تعالى ذلك بمنّه وكرمه». [التوشيح شرح الجامع الصحيح (١/ ٤٢)].

وقال في مقدمة "مصباح الزجاجة" (١/ ٥): «هذا الكتاب السادس مما وعدت بوضعه على الكتب الستة، وهو تعليق على سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن ماجه، على نمط ما علقته على الكتب الخمسة».

المطلب الخامس: قيمته العلمية:

يُعَدُّ هذا التعليق من قبيل الحواشي، وقد اقتصر فيه على ما رآه يحتاج إلى تعليق، فهو من هذا الباب شرح مختصر مفيد، يتذكر به المنتهي، ويتعلم منه المبتدئ، والأمر الذي يزيده أهمية لهذا التعليق هو أن السيوطي رحمه الله قد يستقي المعلومات من مئات المصادر ويُقدِّمها للقارئ منتقاةً ومختصرةً.

المطلب السادس:ترتيبه للكتاب ومنهجه في الشرح:

١- بدأ الكتاب بمقدمة يسيرة؛ بين فيها اسم الكتاب،وسبب تأليفه لهذا الكتاب ثم بدأ بشرح الكتاب.

٢- شَرَحَ سنن ابن ماجه من بداية الكتاب إلى آخره؛ ولكن لم يشرح كل الأبواب، وكذا في داخل الباب الواحد لم يشرح جميع الأحاديث.

٣- يضبط الألفاظ المشكلة بالحروف؛ كقوله- في معرض شرحه لحديث عبد الله بن الزبير مع رجل من الأنصار-:«(في شِراج الْحَرَّة) الشراج بِكَسْر الشين المُعْجَمَة جمع شرجة، هِيَ مسيل المَاء، من الْحَرَّة أَي الأَرْض ذَات

الْحِجَارَة».[مصباح الزجاجة:١/ ٤٨].

٤-يفَسِّر الكلمات الغريبة؛ وذلك إما من عند نفسه، أو نقلاً في ذلك كلام من تقدَّمه من العلماء كابن الأثير وغيره.

٥- أحياناً يخرِّج الأحاديث ويعزوها لمصادرها، ويحكم عليها صحة أو ضعفاً، إما بنفسه أو نقلاً من غيره.

٦-يسَمِّي المبهم الذي ورد في السند أو المتن.

٧-يجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض.

٨- يقوم بإعراب ما يُشكل على القارئ.

٩-لم يعرج المصنف على استنباط الأحكام من الأحاديث إلا نادرًا.

١٠- سار المصنف في الجملة في كتابه على نمط الاختصار مراعيًا للأمور التي تقدمت؛ إلا مواضع يسيرة فقد أطال النفس فيها.

المطلب السابع: موارده:

شَرْحُ السيوطي رحمه الله يعتبر بمثابة التعليق اللطيف على سنن ابن ماجه، ومع ذلك فقد أكثر من النقل والاستفادة من كتب العلماء السابقين له، وقد قُمت باستقراء موارده في المجلد الأول (من طبعة دار النوادر) بكامله؛ فتبيَّنَ لي أنه نقل في هذا القدر من سبعين مصدرًا تقريباً. وهذه المصادر على أنواع:

الأول: كتب متون الحديث كالكتب الخمسة، وكتب المسانيد.

الثاني: كتب شروح الحديث كشرح النووي على صحيح مسلم، وفتح الباري لابن حجر، وشرح العراقي على الترمذي، وشرح الطيبي على المصابيح.

الثالث: كتب غريب الحديث مثل: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، والفائق للزمخشري، والغريبين للهروي.

الرابع: كتب اللغة: ومن أشهرها الصحاح للجوهري، والمغرب لناصر الـمطَرِّزِيّ .

الخامس: كتب التراجم: كتاريخ ابن عساكر، وتهذيب الكمال للمزي.

السادس: كتب الموضوعات والعلل: ومن أشهرها: الموضوعات لابن

الجوزي، والعلل للدارقطني.

المطلب الثامن: عناية العلماء به:

من خلال ما تقدم تبين لنا أن "مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه" له منزلة بين شروح السنن لابن ماجه؛ ولذا تقبل الناس هذا الكتاب بقبول حسن، فعكفوا عليه، واعتنوا به عناية جيدة، وتتجلى عنايتهم به فيما يلي:

١- كثرة نقول شُرّاح السنن لابن ماجه عن هذا الكتاب كالسندي والكنكوهي.

٢- اختصره السيد علي بن سليمان المغربي باسم (نور مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه، وهو مطبوع.

٣- طباعته: طبع قديمًا في نيودلهي – الهند- على حاشية السنن ضمن ثلاثة شروح.

٤-طُبع ضمن شروح السنن في بيت الأفكار الدولية في مجلدين.

٥- طُبع أخيرًا مفرداً في مجلدين، بتحقيق توفيق محمود تكلة، بدار النوار عام ١٤٣٣ه؛ وهي أحسن الموجودات.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث:

١- كتاب"مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه" للعالم الموسوعي أبي الفضل عبد الرحمن أبي بكر السيوطي من أهم كتب الشروح على سنن ابن ماجه.

٢- جاء هذا الشرح ضمن سلسلة شروح الكتب الستة للمصنف، وقد أراد رحمه الله بهذه السلسلة خدمة هذه الكتب بأسلوبه الخاص، فأفرد تعليقًا مستقلًا على كل من هذه الكتب الستة.

٣- اشتمل تعليقه على ما يحتاج إليه القارئ من ضبط الألفاظ، وتفسير الغريب، وتسمية المبهم، وإعراب المشكل وغيره من الأشياء المفيدة.

٤- لم يشرح لكل حديث ورد في السنن لابن ماجه، بل اقتصر فيه على مارآه بأنه يحتاج إلى تعليق.

٥-كتابه مفيد، وله منزلة رفيعة بين شروح السنن لابن ماجه.

٦- ينبغي الرجوع إليه والاستفادة منه مع الحذر في مجال العقيدة فيرجع إلى أقوال السلف فيما اختُلف فيه.

هذا ماعندي والله أعلم بالصواب.

***

أعلام ووفيات

وفاة الشيخ محمد عبد القيوم المدني
خسارة فادحة للأمة الإسلامية

خورشيد عالم جميل أحمد المدني

إنّ الآخرة دار البقاء والدوام الأبدي، والدنيا دار فناءٍ وزوالٍ ليس لها استقرارٌ وثباتٌ، وكل نفسٍ منفوسة على هذه الأرض ترحل وتودّع هذه الدنيا ذات يوم وتفارقها فراقًا كليًّا بحيث لم يمكن لها الرجوع إليها مع العلم بكلّ هذا فإنّ وفاة بعض الشخصيات تكون أمرًا محزنًا ومؤلمًا جدًّا، ومثير الغمّ والكآبة، ومتطلّبا بالكثير من الصبر والعزاء؛ ومنهم شخصية شيخنا محمد عبد القيوم المدني–رحمه الله– التي تركت وراءها بحرًا من الظلام والدجى، وسيلًا متواصلًا من الأحزان التي لا تنتهي سريعًا، ولن تنقطع قريبًا لذويه، ومحبّيه بسهولة، بل تدر الدموع من عيونهم، ولن تتخلّى نفوسهم نهائيًا عن ذكرياته ولحظاته السعيدة التي حاصرها المشاعر والأحاسيس الجميلة في العقول والقلوب.

ففي بداية هذا الأمر كلّما يذكر الشيخ أمام ذويه ومحبّيه اغرورقت الأعين بذكرياته الرائعة، ودمعت بمآثره الخالدة، وفي الواقع هذه هي التي تشفي جروح الفراق والاشتياق، وتطفئ حرقة الأزمان، وتنسي الغياب وتزيل الظلام.

إنّه من دواعي الحزن الشديد والألم الكبير للأوساط العلمية بأنّ كوكب العلم الساطع من كواكب الجامعة السلفية بنارس– قد انطفأ وغرب في المغيب دون إنذارٍ سابقٍ كمرض أو نحوه، وزاد الظلام، وانتشر في الجهات الأربع؛ لأنّ أحد علماء الكتاب والسنّة قد مات، ورمز العلم والعرفان قد

ذهب، وصاحب الخلق الحسن قد ارتحل، والقلب النابض لألوف الطلاب من الجامعة السلفيّة وجوّها العلمي قد توجّه إلى دار القرار.

لا شكّ أنّ وفاة الشيخ – رحمه الله – خسارةٌ فادحةٌ لا تعوّض للحلقات العلمية وخصوصًا من أهالي مدينة بنارس- والأوساط الأكاديمية للجامعة السلفية؛ حيث إنّه كان أستاذًا بارعًا دقيقًا في التدريس، وماهرًا حاذقًا في الأمور الدراسية العلمية والعملية، وكان عضوًا خاصًا من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، وركنًا مهمًا لجميع اللجان الموجودة فيها، ومعروفًا بسدادة الرأي ورجاحة العقل، يلقي آراؤه النافعة، ويطرح ملحوظاته القيّمة نحو أيّ اجتماع عُقد للمشاورة وتبادل الأفكار في رحاب الجامعة السلفية.

وإنّ شخصيته كانت أشبه بالنبتة التي تفوح رائحتها في عتمة الليل، والكوكب النيّر المضيء في اللّيل المظلم يستهديه السالكون والمشّاؤون في حلكة الليل، والوعاء العلمي والخيري الذي ملأ فيه الحكمة والتواضع وتقوى الله، وكان – رحمه الله – نبراسًا في الأخلاق والآداب والعبادات، وحاذقًا في تنظيم الأمور المتعلقة بالاختبارات، وقضايا الطلاب الدارسين في الجامعة السلفية من القدامى والمتقدّمين إليها من الجدد للاختبار والقبول.

وإنّما الفجوة والفراغ الذي حصل ونشأ لوفاة الشيخ – رحمه الله- لن يملأ مدى أيام كثيرةٍ، ولن يسدّ افتقاره إلى زمنٍ طويلٍ، وإنّه الآن ليس بين أيدينا، ولايمكن الرجعة له إلى هذا العالم الفاني، والالتقاء به فيه؛ لكنّ صورته ستبقى في الأذهان والقلوب على مرّ العهود والعصور، وتدوم دعوات محبّيه له من كل وادٍ و إقليم، ولا تخلو مجالسهم بذكره الخير والتلفّظ به، ولا تنسى تضحياته العلميّة، وخدماته الدينية والتربوية والأكاديمية، بل تذكر بالخير من حينٍ لآخر، وتتدفّق ذكرياته الجميلة كالقلب النابض في نفوس المشايخ والطلاب عبر

الفترات والأحقاب.

وفي السطور التالية يجدر بنا أن نذكر سيرة مختصرة لهذا العالم الجليل، وبعض المعلومات المفيدة عنه، وميزاته التي رأيتُها في الجامعة، أو أخبر عنها أصدقاء الشيخ وتلامذته، أو كتبوا عن شخصيته في كتاباتهم ومقالاتهم المختصرة.

اسمه ونسبه وكنيته:

اسمه ونسبه: محمد بن عبد القيوم بن عبد الرزاق بن محمد يوسف بن يار محمد بن شير محمد بن بير محمد (فرنكي).

كنيته: أبو حنظلة.

مولده:

ولد الشيخ محمد عبد القيوم في ١/ أكتوبر١٩٥٥م في منطقة مدنبورة –باكر بلي– بنارس، ونشأ وترعرع في حضن والديه، ويقع منزله في تلك المنطقة 'مدنبورة' بمدينة بنارس– يو–بي الهند– ، وكان والده عبد القيوم خادمًا للمسلمين، ومتقدمًا على الأعمال الدينيّة، ومعروفا باسم (أمين المكتبة)، لأنه كان منتظمًا بالمكتبة السعيدية الواقعة في – مدنبورة–، ومحترمًا لدى العلماء والأقارب والجيران، وكان عنده الأخبار والخبرات نحو إجراءات المحكمة في أراضي الجامعة السلفية وممتلكاتها التي يتمّ فيها رفع دعوى قضائية عليها في المحكمة، والتي لم يكن فيها القضاء بشأنها في المحكمة.

مراحل تعليمه :

تلقىّ الشيخ محمد عبد القيوم تعليمه الابتدائي في الجامعة الرحمانية – مدنبورة بنارس– وأكمل مرحلته الثانوية في هناك أيضًا، وبعد ذلك التحق بالجامعة السلفية – بنارس الهند–، وحصل على القبول فيها لإكمال تعليمه في مرحلة العالمية، ومن ثم تخرّج فيها، وحصل على شهادة العالمية والفضيلة، وبعد تخرّجه في الجامعة السلفية تمّ تعيينه مدرّسًا في الجامعة الرحمانية– بنارس، وقام بتدريس العديد من المواد والكتب فيها لبضع سنين، وبعد ذلك قدّر الله له السعادة والسكن والإعاشة في مدينة حبيبه صلى الله عليه وسلم، وزيارة الحرمين

ومعالمها، والاستمتاع ببركات الصلوات فيها طيلة إقامتها في المملكة العربية السعودية.

فلما تمّت الموافقة والقبول- بحمد الله وفضله- على مواصلة دراسته في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، توجّه الشيخ – رحمه الله- إلى الحرم المدني مع بعض الأصدقاء والزملاء، ودخل في كلية الشريعة ليروي عطشه المعرفي، ويتقن الفقه وأصوله من ينابيع السلف ومناهلهم الصافية، ويكتسب العلم والخبرة من الأساتذة المهرة، والعلماء المختصين بالعلوم والفنون.

علمًا بأنّ سنة التخرّج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة يكلّف فيها الطالب بكتابة بحثٍ وإعداده كمادة، وتفرض عليها مائة درجة ، فكتب الشيخ – رحمه الله بحثًاومقالًا في السنة الأخيرة من مرحلته العلمية والأكاديمية في فنّ أصول الفقه، وأكمله تحت إشراف الأستاذ علي أحمد با بكر بعنوان : "التقليد والاتباع في الإسلام"، وحصل على درجة البكالوريوس، وقرّر العودة إلى وطنه.

رجوعه من المدينة :

وبعد عودته من مهبط الوحي والنبوة إلى وطنه، انضمّ بسلك التدريس في جامعة فيض عام –مئو- الهند ملتحقًا بقسم الدعاة من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية كداعية ومدرس، وعمل مدرسًا في جامعة فيض عام – مئو - لفترة طويلة، وأقام هناك مع زوجته وأولاده في منزل مؤقّت، وأثرى طلاب العلم بعلمه وغزارة علمه وفوائده.

وكذلك بعد ما يقرب من تسع سنوات من التدريس في جامعة فيض عام – مئو – انتقل إلى مدينة – بنارس – في إبريل ١٩٩٢م، وتولىّ مسند التدريس كأستاذ في الجامعة السلفية، واستمرّ في التدريس والارتباط به، وشهد من قابله بفضله ومحبته، ورجاحة عقله، وحسن

مكارمه، وإرواء عطش الطلاب المعرفي والفكري حتى وفاته.

أوصافه الخَلقية والخُلقية:

كان– رحمه الله – أزهر اللون، مضيئ الوجه، متوسط القامة، معتدل الجسد، صاحب بشرة فاتحة بيضاء، لحية جميلة قليلة، طاقية طويلة، نظّارة على عينيه، شديد بياض الشعر، ولقد كان مثالًا عاليًا في كلّ من الفضائل والعادات، فكان حامل الكتاب والسنة، وصي العلم والعمل على طريقة السلف، معظمًا للأحكام والشرائع ظاهرًا وباطنًا، حامل التواضع والورع، عابدًا زاهدًا، منهجيًا، نظاميًّا، لين الكلام، كثير الحياء، صبورًا، وقورًا، شكورًا، ناصحًالطيفًا، ودودًا، صادقًا، أستاذًا مشفقًا، قليل الكلام، خافض الصوت، لابس الثياب البيضاء والملابس الأنيقة، ومحبًّا للعطور ومولعًا بالبخور، مخلصًا ومحافظًا على الصلوات الخمس، فاتسم الشيخ ر– رحمه الله – بصفاتٍ حميدةٍ ، وعادات حسنة، وفضائل كثيرة.

وكان رحمه الله يؤمّ القوم في مسجد باكر بلي– مدنبورة، وكانت على عاتقه مسؤولية إمامة العصر والمغرب بالاستمرار ، وفي بعض الأحيان كان يؤمّ صلاة الفجر، ويخطب خطبة الجمعة في المسجد – باكر بلي – في بعض أوقاته، وكان أيضًا عضوًا في مجلس الإدارة له، وكذلك كان يلقي الدروس والمحاضرات في مسجد نيميا.

وإنّ اللطف والتعاطف مع الصغار واحترام الكبار سجيّةٌ له وأسلوبٌ من حياته، وكان رحمه الله قوّالًا بالحق، بعيدًا عن الكبر والعجب، شديد الجرأة والإقدام والشجاعة في قول الحق، وإسماعه الآخرين أيضًا كائنًا من كان، غير مبالٍ ولا خائفٍ في الله لومة لائمٍ، ولا يهتمّ بأحدٍ من النّاس في الحقيقة سواء أكانوا من أصحاب المناصب والجاه، أو من أهل الثروات والأموال.

واليوم في فراقك لمحزونون يا شيخنا الحنون، كنت صالحًا قويًّا في الإيمان، متديّنًا جادًّ افي السلوك، ناشر

الخير والمحبّة، خير معلّمٍ وأستاذٍ جليلٍ، وحامل رأية العلم، انتفع بعلمك ومشورتك كثيرٌ من الطلاب الدارسين في الجامعة السلفية، فارقتَنا وتوجّهتَ إلى الآخرة، وتركتَنا باكين مغمومين. غفر الله لكم ورحمكم رحمةً واسعةً، ونوّر ضريحكم، وأسكنكم الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين. آمين.

وفاته:

إنّ الشيخ – رحمه الله – قد أتى إلى الجامعة يومًا من الأيام قبل وفاته بأسابيع، وعندما سئل عن صحته فأخبر بأنّه يعاني من الفواق والحازوقة باستمرارٍ ولا تتوقف، وأحضر الدواء من الطبيب ولكن لم يحدث شيء من التحسّن والإفاقة، ثمّ بعد أيام بدأ يخبر عند الاستفسار عن فواقه وحازوقته وصحته، وصار الأمر على أحسن الحال.

وقد دار كلّ هذا الكلام مع الشيخ – رحمه الله – ولكن الشيء الوحيد الذي كان ملفتًا للنظر هو أنّ الشيخ كان يتراءى مضطربًا، وكأنّ هناك آلامًا وأسرارًا يخفيها عن الآخرين، ولم يرغب في إخبارها أحدًا، رغم أنّ عدم الارتياح وعلامات القلق وآثاره كانت واضحةً وبارزةً عليه يمكن للجميع رؤيتها والشعور بها.

بدأ الشيخ يسكت ويصمت قبل وفاته بأيام قليلة، ولم يتحدّث مع أحدٍ كثيرًا علمًا بأنّه مازال يقوم بالإمامة في المغرب، وصلّى العشاء ذلك اليوم –يوم السبت– ٢٣ رمضان المبارك ١٤٤٤هـ الموافق ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، تناول السحور، وأدّى صلاة الفجر في بيته، ولم يستطع الذهاب إلى المسجد لسوء حالته الصحيّة، وبدء شعور ألم شديدٍ وانزعاج في الصدر، وفي الصباح لما تفاقمت المعاناة الرهيبة حضر إليه جميع الأبناء والبنات، ولكن الأجل الموعود قد حان، ووافته المنيّة فتوفّي الشيخ بسبب السكتة القلبية، – إنّا لله وإنّا إليه راجعون، برحمه الله رحمةً واسعةً، ويقدّس روحه، وينوّر

ضريحه-.

وشارك في جنازته جمٌّ غفيرٌ من أهالي مدينة بنارس، وكذلك حضر تلامذته أيضًا، وغيرهم خلق كثير من أماكن بعيدة، ومدن نائية، وأتوا لها من جونبور، إله آباد، عليكره حتى ضاقت بجنازته الطريق بحيث لم يتّسع المكان للوقوف والتحرّك للحاضرين، وألقى الناس عليه التراب لمدة ساعة ، وصلّى عليه ابن أخيه الشيخ عبد الرحيم السلفي حفظه الله – (أستاذ قسم التحفيظ بالجامعة السلفية) بعد صلاة المغرب، ودفن في مقبرة آباءه وأجداده (ريوري تالاب). اللهم اغفر وارحمه، وأسكنه الفردوس الأعلى، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان. آمين.

أولاده:

ترك الشيخ – رحمه الله – خلفه ابنين، وثلاث بنات، جميعهم باقون على قيد الحياة، ومتزوّجون بحمد الله باستثناء الابن " فضالة" هو أعزب وتخرّج في الجامعة السلفية، رحم الله هؤلاء الأولاد، وأعانهم، ويسّر أمورهم، ووفّقهم بكلّ خيرٍ، وحفظهم من كل أنواع الأذى والبلاء. آمين.

أساتذته وتلامذته:

من الواضح أنّه عندما قام الشيخ بأخذ العلم وحصوله في العديد من المدارس والجامعات الدينيّة، وطلبه من ينابيع المعرفة الصافية. كان أساتذته أكثر وأكثر، فأورد أدناه أسماء بعض أساتذته وشيوخه:

من مشاهير أساتذته في الجامعات:

الجامعة الرحمانية: قاري عبد الوهاب، قاري أحمد سعيد، ماستر عبد الحميد، وماستر عبد المنان وغيرهم كثير.

الجامعة السلفية: الشيخ عابد حسن الرحماني، والشيخ عبد الوحيد الرحماني، والشيخ عبد المعيد البنارسي، والشيخ آزاد الرحماني، والشيخ شمس الحق، والشيخ عبد السلام المدني وغيرهم.

الجامعة الإسلامية: الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي، الشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ محمد حمود الوائلي،

وغيرهم من المشايخ وأساطين العلم والفضل.

تلامذته:

تمتدّ خدمات الشيخ في التدريس والتعليم في الجامعات لما يقرب من أربعين عاما، نظرا لهذا سيكون عدد طلابه كثيرًا، يصعب إحصاءهم وتقدير أعدادهم. وتلامذته المعروفون منهم: فضيلة الشيخ محمد أنس المكي، الدكتور عبد الصبور أبو بكر المدني ، خورشيد عالم جميل أحمد المدني (راقم الحروف)، والشيخ سيف الرحمن الصليح المدني، الشيخ أسعد إبراهيم محمد إبراهيم المدني، والشيخ ظفر نعمان المكي وغيرهم كثير.

الكتب التى قام بتدريسها الشيخ – رحمه الله – فى الجامعة السلفية:

فمن الكتب المهمّة التي قام بتدريسها الشيخ – رحمه الله – في الجامعة السلفية هي كالتالي:

مشكاة المصابيح ج١، جامع الترمذي، بداية المجتهد، أصول الفقه، تحفة أهل الفكر، شرح العقيدة الواسطية، الروضة الندية، تسهيل الوصول، القواعد العربية الميسّرة، البلاغة الواضحة، مع المعلمين، وغير ذلك من الكتب.

مناصبه الإدارية:

وعيّن الشيخ في منصب مدير الاختبارات إلى فترةٍ طويلةٍ في الجامعة السلفية، وتولّى منصبه الصعب إلى سنواتٍ عديدةٍ، وأدّى مهامه وواجباته بكلّ أمانةٍ وجهدٍ، وحسّنَ هذه الإدارة (الامتحانات) بجهوده المثمرة، وبذل كلّ ما كان يملك من القدرة والمهارة بالوفاء والتضحية تجاه هذا المسؤوليّة الصعبة.

علمًا بأنّ الشيخ –رحمه الله – لم يكن مدير الاختبارات قبل الوفاة، بل الشيخ محمد أنس المكي – حفظه الله – هو مدير الاختبارات – حاليًا- لكنّه – رحمه الله – لا يزال يعينه ويساعده بكل الطرق الممكنة، بل يجتمعان في الجامعة معًا لحلّ مشكلات الاختبارات وقضاياها، ويفكّران مع لجنة الاختبارات في المعالجة بهذا الصدد، وفي كثيرٍ من الأحيان رأت

عيناي أنّ الشيخ يأتي إلى الجامعة بمرافقة الشيخ أنس المكي، ويخرج معه من الجامعة خصوصًا في الآونة الأخيرة.

موقفه تجاه الطلاب والمسؤوليات:

كان للشيخ رحمه الله موقف عادل تجاه جميع الطلاب، ولم يعامل أيّ طالبٍ بظلم أو قسوةٍ، ولم يراع القرابة والصداقة والارتباط الشخصي في شؤون الطلاب وقضاياهم، فكلّ قضيّةٍ وقرارٍ له كان متضمنًا للعدل والإنصاف، وكان لا يحبّ تدخّل أحدٍ في تصرّفاته ومسؤولياته، ولا يقبل شفاعة أحدٍ في طالبٍ من الطلّاب دون الآخرين أبدًا.

خدماته التعليمية:

امتدّت خدماته وأعماله المتعلّقة بالتدريس ما يقرب من أربعين عامًا، قام بالتدريس في بداية الأمر في الجامعة الرحمانية قبل قبوله للدراسة والتعليم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – المملكة العربية السعودية- والموافقة على طلبه للالتحاق بالدراسة فيهاكما ذكرت سابقًا، وبعد تخرّجه في المدينة المنورة تولّى – رحمه الله – منصب التدريس في جامعة فيض عام – مئونات بهنجن – بضع سنين، ثم التحق بالجامعة السلفية من عام ١٩٩٢م بنارس، وتولّى بها التدريس طوال حياته حوالي ٣١ سنةً في الجامعة السلفيّة – بنارس – الهند، فهكذا اختفى نجمٌ من نجوم الجامعة السلفية وابن عظيم لها في الظلام.

اللهم اغفر له وارحمه، وعافه، واعف عنه، وارفع درجته في المهديين، إنك سميع مجيب.

وصلّى الله على نبّينا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

***

أخبار الجامعة

من أخبار الجامعة السلفية

بداية العام الدراسي الجديد ١٤٤٤-١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣- ٢٠٢٤م.

بدأت الجامعة السلفية – بمشيئة الله تعالى- تعليم الفصل الدراسي الأول والدراسة المنتظمة بكافة أقسامها العلميّة ومراحلها المتشعّبة اعتبارًا من يوم الثلاثاء ١٨/ ١٠/ ١٤٤٤هـ- الموافق ٩/ ٥/ ٢٠٢٣م، وقد حضر الجامعة أساتذتها الكرام يوم الثلاثاء ١١/ ١٠/ ١٤٤٤هـالموافق ٢/ ٥/ ٢٠٢٣، وتولّوا مسؤولياتهم قبل أسبوعٍ من بدء التعليم الدراسيّ.

علمًا بأنّ الطلاب الجدد المقبولين في هذا العام وصل عددهم إلى مئتين وستة وستين في كافّة المراحل المختلفة، بحيث بلغ العدد الإجمالي للطلاب الدارسين في الجامعة حاليًا سبعمائة وستة تسعين طالبًا- بارك الله فيهم-.

وأعلنت الجامعة بدء الإجازة لعيد الأضحى من يوم الاثنين ٧/ ١٢/ ١٤٤٤هـ الموافق ٢٦/ ٦/ ٢٠٢٣م، وتستمرّ الإجازة إلى أربعة عشر يومًا، وتنتهي في يوم الاثنين٢١/ ١٢/ ١٤٤٤ الموافق ١٠/ ٧/ ٢٠٢٣م، ثمّ بعد ذلك تكون عودة المعلمين والأساتذة الكرام، وطلبة العلم للدراسة والتعليم، وتبدأ الدراسة من يوم الأربعاء من جديد – بإذن الله تعالى-في الجامعة.

انتخاب أعضاء ندوة الطلبة في الجامعة.

تمّ انتخاب أعضاء ندوة الطلبة بالجامعة بحضور الأساتذة والمعلمين وطلبة العلم في مسجد الجامعة؛ وذلك يوم الخميس٢٧/ ١٠/ ١٤٤٤هـ- الموافق ١٨/ ٥/ ٢٠٢٣م بعد صلاة العشاء بحيث عرضت أسماء الطلاب المتميّزين على الأساتذة الكرام للانتخاب فقاموا بترشيح الأعضاء من الطلاب، وأناطوا بهم تكليف المهام والمسؤوليات لندوة

الطلبة على عواتقهم وأكتافهم، وقاموا بتشجيعهم على ذلك، وطلبوا لهم العون من الله على أداء مسئولياتهم، فاستلموا مهامهم، وتولّوا مسؤولياتهم- وفّقهم الله أداء مسؤولياتهم على أحسن طريقٍ.

البرنامج الافتتاحي لندوة الطلبة بالجامعة السلفية.

أقيم البرنامج الافتتاحي لندوة الطلبة في قاعة المحاضرات يوم الخميس ٤/ ذي القعدة ١٤٤٤هـ، الموافق ٢٥ مايو ٢٠٢٣م الساعة التاسعة صباحًا للجامعة السلفيّة برئاسة صاحب السعادة الأمين العام للجامعة السلفية فضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي حفظه الله.

وتفاصيله فيما يلي:

بدأ البرنامج بتلاوة آيٍ من القرآن تلاها الطالب/ أمين الإسلام (- ع ٢) وبعد ذلك أنشد الطالب/ مجيب الله بيت الله أبياتًا (ع ٢) في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وأسامة وزملاؤه نشيد الجامعة بأجمل صوتٍ وأحسن أسلوبٍ، ثم قدّم الطالب/ معاذ عبد الماجد (ش٢) مقدّمة تفصيليّة لندوة الطلبة، والتعريف بها، وسلّط الضوء على أهدافها وغاياتها.

وبعد ذلك بدأت سلسلة الخطب وإلقاء الكلمات باللغات المختلفة، فألقى إبراهيم شهبندري (ش١) باللغة العربية حول موضوع "مكانة العلماء" وأبو بكر محمد فخر الدين (ع ٢) باللغة الأردية حول موضوع "ضرورة وحدة الأمة في الوقت الحاضر" وخطب مجاهد الإسلام منصور علي (د٣) باللغة الهندية حول موضوع "صفات طالب العلم" برشاقة اللهجات والأساليب، وقدّم الطالب/ شهنواز عالم مختار عالم الخطاب الانكليزي عن "الإسلام والأخوة" بطريقة خطابية.

وفي نهاية هذا البرنامج ألقى رئيس الجلسة فضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي الخطاب الرئيسي، وخاطب فيه جميع الحاضرين، وتلا آيةً من القرآن الكريم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وشجّع الطلاب على حصول العلم ونصحهم بنصائح مفيدة في ضوء مفهوم هذه الآية وشرحها المختصر، وتعليقها الموجز وقال: سعدت غاية السعادة والسرور لسماع خطب الطلاب الأعزّاء وكلماتهم بلغاتٍ مختلفةٍ، وعرفت المستوى العلمي والجودة التعليمية للطلاب، وتكشّف لي ميولهم واتجاههم، وفّق الله طلابنا بمزيدٍ من الاجتهاد في العلم النافع والعمل الصالح، ونفع بهم العباد والبلاد.

وقال: طلابنا الأعزّاء! إنّ الغرض المهمّ والهدف العظيم الذي من أجله أرسلكم آباؤكم وأولياء أموركم إلى الجامعة هو طلب العلم، لذا يجب عليكم أن تجتهدوا في الدراسة، وجدّوا في طلب العلم، ولا تتهاونوا به، بل احضروا في الفصول باستعدادٍ كاملٍ وتحضيرٍ تامٍ كما يأتي الأساتذة الكرام مستعدّين تمامًا إلى الفصول بمراجعة جميع الدروس اليوميّة وعندما تفعلون ذلك ستستفيدون كثيرًا بإذن الله".

"طلابنا الأحبّة!كما لا يخفى عليكم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينظّف بيته، وأنتم ورثة الأنبياء فحافظوا على نظافة الجامعة، واهتمّوا أيضًا بنظافة الفصول الدراسيّة، وإن الطهور والنظافة كما تعرفون عزّ المسلمين وهويتهم، والإسلام يحثّنا على الطهارة والنظافة، ونأمل منكم أن تتعاونوا معنا في الحفاظ على نظافة الجامعة، وتحرصوا على إبقاءها قمّةً في الجمال والروعة".

"ولقد رأيت أكثر من مرّة أنّ جماهير الطلاب يدرسون في الفصول الدراسيّة يتركون المراوح تشغل في غرفهم، فهذا ليس بجيّد، وآمل منكم عندما تذهبون إلى الفصل الدراسي أو تخرجون إلى المسجد للصلاة فيه، أو تلعبون في الميدان، أو تخرجون للقيام بأيّ عملٍ فقوموا بإطفاء الأنوار والمراوح في غرفكم، هذا واجب عليكم من الناحية الدينية والأخلاقية، وسوف تسألون أمام الله عن هذا الواجب وهذه المسؤولية".

"لقد ذكر سعادته بأنني رأيت الطلاب يلعبون بعد العصر بطريقة غير منظّمة، لا أمنعكم من اللعبة في فترة ما بعد العصر؛ بل العبوا في ميدان الجامعة لكن بطريقة منظّمة، وعندما تلعبون بهذه الطريقة ستحصلون على المتعة الحقيقية والفائدة البدنيّة من اللعبة، أيها الطلاب لقد سددتم الرسوم إلى الجامعة، فإذا كنتم بحاجة إلى الفلوس فخذوا من الجامعة، والعبوا بشكلٍ جيدٍ".

وأوضح سعادته في خطابه الرئيسي قائلًا: وفقًا لقواعد الجامعة وضوابطها يؤخذ الحضور في الفصول والغرف والمسجد، وتتّخذ إجراءات تأديبية وكذلك الغرامة المالية في حالة الغياب والإغفال، وكل هذا لجعلكم أقوياء في التعليم والتدريب، وليس الغرض والهدف منها جمع الفلوس.

طلابنا الأعزاء! حاولوا أن تدخلوا في السلم كافة، وتجنبوا الضلال وحيل الشيطان، والغيبة، والنميمة، والكذب، والمعصية، وحافظوا على الصلوات الخمس واحرصوا على الأعمال الصالحة وأداء السنن والنوافل سيوفّقكم الله الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، جعلني الله وإياكم من المؤمنين الصالحين.

لقاء خاص مع الأمين العام.

بناءً على طلب الأمين العام للجامعة السلفية فضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي ودعوته إلى اجتماعٍ خاص عقد يوم الجمعة ٢٨ / شوال ١٤٤٤هـ الموافق ١٩ مايو ٢٠٢٣ بعد صلاة المغرب لقاء هام في مكتبه الخاص مع الأساتذة المسؤولين بالجامعة حول مناقشة قضيّة التعليم والدراسة للطلاب، وقد تمّ تقديم بعض الأطروحات والاقتراحات في هذا الاجتماع لرفع مستواهم العلمي والتربوي، وهي كالتالي:

- وفقًا للأمر الحكومي سيتمّ إيقاف التعليم إلى المتوسطة الثالثة نظرًا للحر الشديد، وسيعقد اجتماع مع المعلمين بخصوص تعليم الطلاب في

هذا الفصل.

- تدريس الطلاب الضعفاء في المواد الدراسيّة خارج الفصل، وإعداد قائمة المدرسين والدراسين لهذا الغرض.
- وضع طاولات وكراسي جديدة للأساتذة من نوع واحد في جميع الفصول الدراسيّة.
- استبدال جميع المراوح القديمة في دار الحديث.
- إعداد برنامج لإسماع جميع الطلاب دروس المشايخ العظام كل أسبوعين في قاعة المحاضرات تحت إشراف الأساتذة والمعلمين حيث سيكون حضور الطلاب في تلك الدروس إلزاميًا وللطلاب المحليين اختياريًا، ويتمّ تعيين المشرفين على هذا البرنامج حسب الموضوعات.
- تكليف مشرفي البرنامج بالإجابة على أسئلة الطلاب المتعلقة بالموضوع المحدد.

(خورشيد عالم جميل أحمد)

PRINTED BOOK

May & June 2023 **ISSN 2394-5936**

Vol. LIV No.05 & 06

R.No. 47416/88- R.N.I. No. R.P.A./Regd No. VSI. 30/2015-2017

SAUTUL UMMAH

THE ISLAMIC CULTURAL & LITERARY MONTHLY MAGAZINE

Website: www.sautulummah.org

نداء لمساعدة الجامعة السلفية بنارس

يدرس بالجامعة السلفية بنارس عدد كبير من الطلاب المحتاجين، والجامعة تنفق على طالب واحد نحو ٣٥ / ألف روبية هندية سنويًا. فالرجاء من الإخوة المحسنين أن يتكرموا بكفالة الطلبة، وأن يساعدوا الجامعة في رواتب المدرسين وفي طبع الكتب الدراسية، وغير ذلك من المجالات.

ويمكن لإخواننا من داخل الهند وخارجها إرسال مساعداتهم في حسابات البنوك التالية، و إرسال حوالاتهم البنكية عبر البريد على عنوان الجامعة، والله لا يضيع أجر المحسنين.

لتقديم المساعدات والتبرعات يرجى زيارة الرابط التالي:
Aljamiatussalafiah.org/donation

رقم حساب الجامعة في البنك لتبرعات الخارج:

Name of A/c: AL-JAMIA-TUS-SALAFIAH
Name of Bank: UNION BANK OF INDIA
Bank A/c No. **303502010006773**
SWIFT Code: **UBININBBVRN**
IFSC Code: **UBIN0530352**
MICR Code: **221026002**

FCRA Registration No.: 136760007

رقم حساب الجامعة في البنك لتبرعات الداخل:

Name of A/c: AL-JAMIA-TUS-SALAFIAH
Name of Bank: AXIS BANK
Bank A/c No. **919010082078900**
IFSC Code: **UTIB0002159**

Address:
Abdullah Saud, General Secretary
AL-JAMIA-TUS-SALAFIAH
(Markazi Darul Uloom)
B-18/1-G, Jamiah Salafiah Road,
Reori Talab, Varanasi – 221010 (U.P.) India

Published by: Obaidullah Nasir, on behalf of Darut-Taleef Wat-Tarjama

B.18/1-G, Reori Talab, Varanasi, Edited by: Khursheed Alam Madani

Printed at Salafia Press, Varanasi.